الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

جامعة الشهيد حمّه لخضر - الوادي
Université Echahid Hamma Lakhdar - El-Oued

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

شعرية السخرية في الأعمال السياسية الكاملة لـ " نزار قباني "

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين :
مـروة خطاب
مــريم كهمان

إشراف الدكتور :
يوسف بديدة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الرشيد هميسي	أستاذ محاضر– ب	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيساً
يوسف بديدة	أستاذ محاضر — أ	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقرِّرا
نعيم المثردي	أستاذ محاضر– ب	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشاً

الموسم الجامعي:1439/ 1440هـ*** 2019/2018

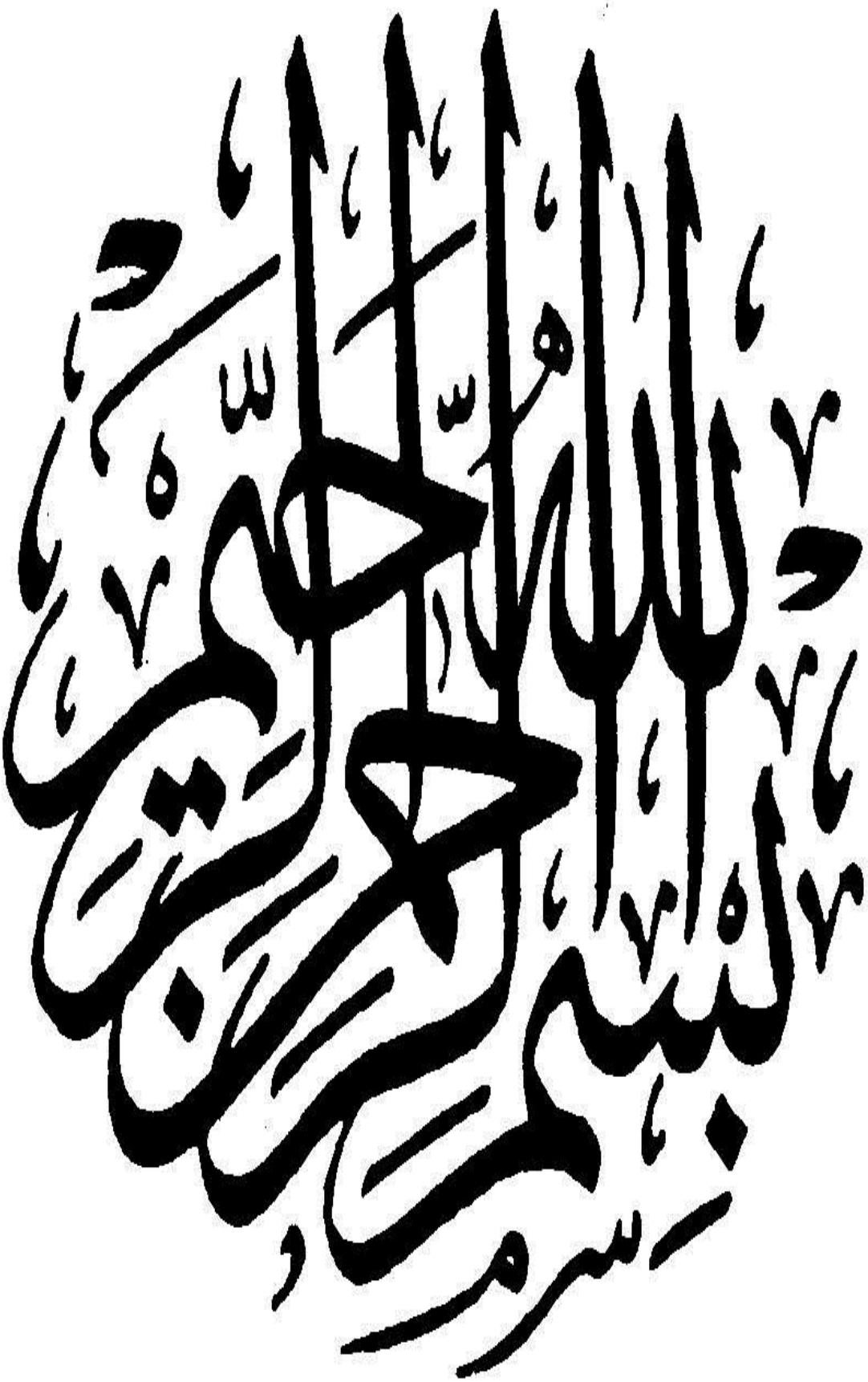
بسم الله الرحمن الرحيم

قـــال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيل لَكُم تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

﴿سورة المجادلة الآية : 11﴾

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من اصطنع إليكم معروفا فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له تعلموا أنكم قد شكرتم فإن الله يحب الشاكرين "

بادئين بالحمد لله عز وجل الذي منحنا القدرة على إنجاز هذا العمل المتواضع

وبعد :

نتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام وأسمي معاني العرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور:

" يوسف بديدة "

على ما قدمه لنا من توجيهات وعلى ثقته الكبيرة التي أمدنا إياها طيلة مشوارنا البحثي ونسأل الله أن يجزيه عنا خيرا .

كما نتوجه بالشكر إلى كل من قدم لنا إرشادات و يد مساعدة من قريب أو بعيد.

مقدمـــة

إن الشعر في العصر الحديث أصبح يتجاوب مع العصر، حيث أضحى وسيلة فنية وأدبية في يد القارئ ، لما يتمتع به هذا الأخير من ظواهر وأساليب لصقل ما تجوب به قريحة المبدع ، ومن هذه الأساليب أسلوب السخرية ، التي تعد من بين الأساليب الأدبية، فأصبحت نهجا يتبعه المبدع للتعبير عن الحالة السياسية .

السخرية صفة اتصف بها الإنسان وتطبع بها ولم يستغن عنها في فنونه وأشعاره وكتاباته ، وأصبحت فنا من الفنون الأدبية المعاصرة منظمة تنظيما محكما ومستقلة بذاتها، مما اكسبها أهمية خاصة في إثراء الساحة الأدبية وخاصة عند نزار قباني التي انطبعت به جل أعماله الأدبية ، هذا الفن الساخر كان محل جذب للقراء والدارسين ، وقد كنا من بين هؤلاء ، حيث دفعنا الفضول للخوض في هذا المجال ، ونظرا لتسلسل الأحداث السياسية في الآونة الأخيرة ، ورأينا بأن أقواله وأشعاره تتطابق مع ما يحدث دفعنا إلى أن ندرسه ، واخترنا الأعمال السياسية الكاملة ، وهذا لسببين ذاتي وموضوعي .

فالذاتي يتمثل في :

- حبنا له وشهرته الكبيرة .

- أن السخرية موضوع يجذب القارئ ويدفعه للتفاعل معه .

والموضوعي يتمثل في :

- الرغبة في الكشف عن جمالية أسلوب نزار قباني ومعانيه الرمزية .

- الرغبة في معالجة موضوع "السخرية" من خلال مقاربات علمية ممنهجة.

ومن خلال هذا الحراك العلمي تولدت إشكالية جوهرية نوجزها في السؤال التالي :

- كيف تمثلت شعرية "السخرية" في الأعمال السياسية الكاملة لنزار قباني؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدد من الأسئلة نوجزها فيما يلي :

1- ما الطرائق التي تم توظيفها لتفعيل قضية السخرية في المدونة الشعرية ؟

2- ما الآثار الواقعية العربية للآداء الشعري للقضية المدروسة ؟

وهذه الدراسة أملت علينا إتباع المنهج النفسي المتواشج مع المقاربة الأسلوبية البنيوية. وانقسم هذا البحث إلى مدخل نظري وفصلين تطبيقيين .

فالمدخل النظري الموسوم بتحديد المفاهيم في ضوء شبكة العلاقات الدلالية وقد تضمن :

* تعريف الشعرية : لغة / اصطلاحا.

- الشعرية عن الغرب .

- الشعرية عند العرب .

* تعريف السخرية : لغة / اصطلاحا.

- تسمياتها .

- موضوعاتها .

أما الفصل الأول الموسوم بأشكال السخرية عند نزار قباني ، وتضمن مايلي :

- السخرية من الواقع الاجتماعي العربي
- والسخرية من الواقع الثقافي العربي .
- السخرية من الواقع السياسي العربي .

أما الفصل الثاني موسوما بطرائق تفعيل السخرية عند نزار قباني فقد تضمن بعض الظواهر الأسلوبية أهمها :

- الاغتراب .
- التكرار.
- استدعاء الشخصيات التراثية .
- الحذف.

وقد استعنا بعدد من المراجع أهمها :

- الأعمال السياسية الكاملة لنزار قباني .
- إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب لسناء حامد زهران .
- الصورة في شعر نزار قباني دراسة جمالية لشبر هادي بشير .

وتعرضت دراستنا إلى عدة صعوبات أهمها :

- الرمزية الطاغية في شعر نزار قباني وخياله الواسع .
- تشعب المادة الشارحة لهذه الرموز .

وقد عمدنا التطرق لهذه الجزئية (السخرية) ودراستها اعتقادا منا أنها لم تنل لاحظ الوافر من الدراسة ، وتكملة للمواضيع التي درست سابقا ، كجمالية التوازي وجمالية التكرار ودلالات الألوان في شعر نزار قباني .

وبفضل الله ثم بفضـــل توجيـــــهات الأستاذ المشـــرف تمكنا من تخـــطي عدد كبير من العقبات.

وفي الأخير نتقدم بالشكر والامتنان لكل من أسهم في تقديم يد العون لنا من قريب أو بعيد .

مدخل نظري

تحديد المفاهيم في ضوء شبكة العلاقات الدلالية

أولا: تعريف الشعرية

1: لغة

2: اصطلاحا

3: الشعرية عند الغرب

4: الشعرية عند العرب

ثانيا: تعريف السخرية

1: لغة

2: اصطلاحا

3: موضوعاتها

عرفت الساحة الأدبية المعاصرة بروز العديد من المصطلحات ، أضـــفت حركية عـلى الفـكر الأدبي ، أدت إلى بروز جدل كببر بين روادها ، ومن بين هذه المصطلـحات نجـد الشعـــرية .

أولا : تعريف الشعرية :

مصطلح الشعرية من المصطلحات الأدبية الأكثر بروزا في الدراسات النقـدية ، حيث أضحى من أهم المصلحات تداولا وبـــروزا ، فقد تعـــددت الدراسات لإزالة الكثير من الإبهام عنها ، وقد عرفت بعدة مفاهيم منها :

1- لغة :

جاء في لسان العرب (شَعَرَ) ، شَعَرَ به وشَعُر يشعُرَ شِعْراً ، وشَعْراً وشِعْرَةً ومشْعُوَرَة وشُعُورا ، وشُعُورةً وشِعْرى ، أشعره الأمر وأشعره به : أعلمه إياه ، وأشعرته فشعر أي أدريته فدرى ، وفي التنـــزيل: **(وَمَا يُشْعِـــرُكُـــــمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُومـِنُونَ)** : أي ومايـدريكم سورة الأنعام الآية : 109 . [1]

2- اصطلاحا :

تتعدى الشعرية ذلك المفهوم القائل بأنها هي فن الشعر تشمل الظاهـــرة الأدبية عموما ، إذ أنها تمثل " محاولة وضع نظـرية عامة ومجـــردة ومحـــايدة للأدب ، بوصـفها فنا لفـظيا فتستنبط القوانين التي توجه الخطاب اللغوي بموجـبها وجـهة أدبية فـــهي إذن تشخـص القوانين الأدبية في أي خطاب لغوي ، وبغـض النظر عن اختلاف اللغات ".[2]

[1] – ابن منظور، لسان العرب ، مادة (ش ع ر) ، دار صادر، بيروت ، ص 410 .

[2] – حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول والمناهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص 9 .

فالشعرية نظرية معرفية مرتبطة بالعمل الأدبي كله ، فهي تستنبط الخصائص المميزة لكل عمل أدبي ، أي مجموع الخصائص العامة للخطاب الأدبي .

3- الشعرية عند الغرب :

أ - **عند رومان جاكوبسون** : ينبثق علم الشعرية عند رومان جاكوبسون عن أرضية ألسنيته إذ يعرفها على أنها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظيفة الأخرى للغة ، (وتهتم الشعرية بالمعنى الواسع للكلمة وبالوظيفة الشعرية)[1] لا في الشعر فحسب ، حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة ، إنما تهتم بهذا أيضا خارج الشعر ، حيث تعطي الأولوية لهذه الوظيفة على حساب الوظيفة الشعرية ، ويربط جاكوبسون الشعرية باللسانيات انطلاقا من العلاقة التي تجمعهما وهي علاقة الخاص بالعام فيقول في هذا الشأن : (إن الشعرية تهتم بقضايا الهيئة اللسانية تماما مثلما يهتم الرسم بالبنيات الرسمية وبما أن اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانية فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات) .[2]

ب- **عند تودوروف** : وينطلق تودوروف في تعريف الشعرية من موقفين هما :

* الأول : النص الأدبي ذاته موضوعا كافيا للمعرفة .

* الثاني : كل نص معين تجليا لبنية مجردة .[3]

وضح تودوروف أن العمل الأدبي هو الموضوع النهائي والأوحد للتأويل ، لأن الشعرية أساسها وجوهرها العمل الأدبي ، لأن به يكمن التأويل والتفسير.

---

[1] - رومان جاكوبسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حانون ، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب ، ط1 ، 1988 ، ص 35 .

[2] - نفسه ، ص 37 .

[3] - تودوروف ، الشعرية ، ترجمة شكري المبغوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1987 ، ص 20 .

4- الشعرية عند العرب :

عَــرَفَ مصطلح " الشعرية " في النقد العـــربي عدة ترجمات منها: (الشعرية ونظرية الشعر...الخ) وقد تناولها عدد من النقاد منهم : كمال أبو ديب و أدونيس.

أ- **عند كمال أبو ديب** : انطلق كمال أبو ديب في تأسيسه لمصطلح الشعرية من مفهوم الفجوة أو مسافة التوتر ، مستندا في ذلك إلى مفهوم العلائقية ومفهوم الكلية ، إذ يصـــف أبو ديب الشعرية بأنها تجسيد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكـــونات أولية ســـمتها الأساسية أن كلا منهما يمكن أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعرا في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات ، وفي حـركته المتواجشة في مكونات أخـــرى لها السمة الأساسية ذاتها ، يتحول إلى فاعلية خلق الشاعرية ومؤشر وجودها [1] ، فهو يرى أن الشعرية تتجدد من خـلال العلاقات الموجودة من مكونات النص ، فالشعرية في نظره تتجـلى وتتمـثل في الــعلاقات التي تربط بين الأشياء في سياق معين .

ب- **عند أدونيس** : يكمن دور الشعر عند أدونيس في توفير المتعة الجمالية ، فالنفس إن لم تعرف المقصود من الكلام تشوقت أكثر إلى معرفة تمام هذا المقصود ، وهنا يـنتـج عنصر المتعة ، وإذا عـــرفنا هذا المقصود يذهــب التشويق وتقتل هـذه المــتعة ، إذ يــرى أدونيس أن " مجال الشعر هو الكذب واللامعقول ، أو مجال الجاذبية والمتعة " . [2]

* ميــدان الشعــر عند أدونيس هـو الكــذب واللامعقول ، وهنا تأتــي المقــولة القائلــة : (أعذب الشعر أكذبه) إذ نجد في هذا الميدان متعة ومحاكاة وتخيل .

* يــذهب أدونيس إلى أن الشعر يكشف عن حقيقة العالم وأشيائه فيــقـول في هـذا الشأن :

---

[1]- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 22 .

[2] - أدونيس ، الشعرية العربية ، دار الآداب بيروت ، ط2 ، 1989 ، ص59 .

(كتابة الشعر هي قراءة العالم وأشيائه ، وهذه القراءة في بعض مستوياتها هي قراءة بأشياء مشحونة بالكلام ، وبكلام مشحون بالأشياء وسر الشعرية هو أن تضل دائما كلاما ضد الكلام ، لكن تقدر أن تسمى العالم وأشيائه أسماء جديدة). [1]

من خلال ما سبق نرى أن الشعرية من المصطلحات العميقة التي تركت جدلا واسعا بين النقاد كل حسب نظرته ، فاتحة المجال إلى بروز عدة ظواهر منها السخرية ، هاته الأخيرة جعلت من العمل الأدبي عملا متميزا .

ثانيا : تعريف السخرية :

1- لغة :

جاء في لسان العرب : سَخِرَ: سَخِرَ منه وبه سَخْراً وسَخَرَ وسُخْراً بالضم وسُخْرِيَةً وسِخْريا وسُخريّة : هزئ به ، والسُخْرَة : الضحكة ، ورجل سُخَرَة : يسخر بالناس ، وفي التهذيب : يسخَرُ من الناس، وسُخرَةٌ يسْخَرُ منه ، وكذلك سُخْرىّ وسخرية ، قال الله تعالى: **(لِيَتَّخِذَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)** " سورة الزخرف الآية : 32 " والسخْرَةُ : ما تسخّرتَ من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن . [2]

ومن المجاز (سَخِرَت السفينة ، كمنع) : أطاعت وجرت وطاب لها الريح السير ، والله سخرها تسخيرا ، والتسخير : التذليل ، وسفن بواخر مواخر من ذلك ، وكل ما ذل وانقاد أو تهيأ لك ما تريد فقد سُخِرَ لك .[3]

[1] – أدونيس ، الشعرية العربية ، ص 23 .

[2] – ابن منظور ، لسان العرب ، ص 352 .

[3] – محمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : عبد الكريم عزباوي ، مر : عبد الستار فراج أحمد فراج ، ط2 ، 1972 ، ج11 ، ص 512 – 523 .

2- **اصطلاحا :**

يعـرفها **نبيل راغب** في كتابه **الأدب الساخر** بقوله : "هي العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقـــد والهجاء والتلميـح والملمحية ، والتهـكم والدعابة ، وذلك بهـــدف التعـريض بشخـــص ما، أو مبدأ أو فكـرة أو أي شيء ، وتعريته بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيه، و الهدف الأول للأدب الساخر هو هـدف تصحيحي، سواء على المستوى الأخلاقي أو المستوى الجمالي ، ويختلف في لهجته ومنهجه عن كل أساليب التعبير الأخرى ، التي تهدف إلى الرفض أو الشجب أو التقليل من شأن الموضوع المطروح لسهام الكاتب أو المتحدث ".[1]

أما **شوقي ضيف** فيرى أن : " السخرية أرقى أنواع الفكاهة بما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات. [2]

ويرى بعض الدارسين أن السخرية وسيلة إضحاك وترفيه تحمل أبعادا شتى ، كفضح الأمور التي تختفي وراء غيابات المجهول ، والبعض الآخر يـرى أنها طـــريقة في التهكـم المرير، وبذلك فإننا نجد السخرية هجوم مفـسد للكلمة القاسية وهـــجاءا لاذعا اتجاه شخص معين أو حكـــومة ما بطـــريقة مباشرة أو عـــن طـريـق الإيحاءات ، حيث يظهر لنا الذم في قالب مدحي أحيانا ، كما جاء في شعر" المتنبي " حيث يقول :

أنَامُ مِلْء جِفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا *** ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَاهَا وَيخْتَصِم [3]

ويقول في قصيدة أخرى :

وإذَا أَتَتْكَ مَذَمَـتِي مِنْ نَاقِص *** فَهِي شَهَـادة لي بِأَنِي كَـامِل [4]

[1] – نبيل راغب ، الأدب الساخر مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة ، 2000 ، ص 13 .

[2] – شوقي ضيف ، الفكاهة في مصر ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 10 .

[3] – المتنبي ، ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ص 322 .

[4] – نفسه، ص 420 .

وهذه الأبيات ما هي إلا ذم في صورة مدح حتى ينال المتنبي ما يريده ، ومصطلح السخرية يحمل في طياته عدة تسميات منها : النكتة والنادرة و التهكم والهجاء والدعابة وغيرها ، نعرف بعضها :

* **الدعابة** : هي فكاهة الأشخاص الوقورين ، إذ يقولون ما يدعوا إلى الابتسام الخفيف ، لا إلى الضحك العالي .

* **النكتة** : هي فكاهة المجالس ولا بد لها من اثنين على الأقل .

* **النادرة** : يذهب **شوقي ضيف** إلى أن النادرة هي الخبـــر القصير أو القصة التي تسبــب الضحك ، وتكون في العادة مكتوبة ، ويمكن أن تدخل في هذا الإطار كل الأشكال الحكائية المضحكة ، والتي توجد وبكثرة في كتب الأدب العربي . [1]

2- موضوعات السخرية :

لعل موضوعات السخرية تتعدد وتتنوع وتختلف حيث أنها لا تنحصر في مجال واحد ، كما حددها الجاحظ نذكر منها :

- **العيوب المظهرية والجسمية** : إن العيوب الجسمية والمظهرية من أهم موضوعات السَخَر وأكثرها رواجا لدى الكتاب والشعراء ، وتبدو لك العيوب أكثر ما تبدو في الوجه ، فقد يكون كبير الأنف واسع الفم ، أو صغير العينين أصلم الأذنين ، أو بارز الأسنان غليظ الشفتين ، وقد لا تتناسق هذه الأعضاء وكأنها في عراك وضعت في غير أماكنها، فيبدو الوجه تائه المعالم ، مستهجن القسمات .[2]

[1] – شوقي ضيف ، الفكاهة في مصر ، ص 11 .

[2] – السيد عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام ، طرابلس،ليبيا، ط1 ، 1988 ، ص 140 .

- **غرابة الطباع والأخلاق** : عمر المجتمع العباسي بمـن شذت أخلاقهم وغربتهم طباعهم فاغمسوا في مرذول العادات ومستهـجن الأخلاق ، فكـان الجاحظ ناقدا موهــوبا آنذاك ، فأدخلهم أتون هزئه ، واتخــذهم وقود سخره ، حيث صور عيوبهم وجسدها ليروها في مـرآة ضمائرهم ، ولعل أشهر تلك الطباع وأبرز تلك الأخـــلاق التي كانت محلا للسخرية خــلق البخل الذي أخذ منة الجاحظ عنوانا لكتابه البخلاء والذي شاع في تلك الآونة ، وغيره الكثير من الطباع كالنفاق والجحود والكذب والجبن ... الخ .

- **القصور العقلي** : وهو إحدى الموضوعات التي تستدعي السخرية ، لما ينطوي تحته من الحمق ، والجهل ، والغفلة ، والخلط ، والتناقض ، لذلك نجد الجاحظ قد سخر من ضعاف العقول واستهزئ بهم .

- **التحايل والخداع** : ولعل أبرز ما يتميز به الساخر الذكاء والفطنة والمكر فتجده دائما يلجا إلى الحيلة لتحقيق غاياته ، متخذين شتى الوسائل والأساليب ، فيــكشف أقنعتهم في أسلوب مرح ساخر ، وفنية عذبة رائعة .

- **التلاعب بالألفاظ** : قد يكون التلاعب بالألفاظ أبرز ما يتميز به الشعراء والكتاب ، حيث أنهم استخدموا الكلمات والعبارات ، وشكلوها بما يخدمهم بقالب ساخر ، وإن كان الاستعمال ظاهرا أو باطنا في العبارة .[1]

إن السخرية إذن أداة للكاتب لترجمة أفكاره والتعبير عن آرائه في كل المجالات وخاصة السياسية منها ، فالضحك له طاقة إيجابية تذلل صعاب الحياة ، حيث لا بد للإنسان الترفيه عن نفسه من حين إلى آخر، إذا ضاقت به السبل، لذا فالسخرية أرقى أساليب التعبير عن الواقع والترويح عن النفس .

[1]– السيد عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، ص 147 – 181 .

الفصل الأول

أشكال السخرية عند نزار قباني

أولا : السخرية من الواقع الاجتماعي العربي

ثانيا : السخرية من الواقع الثـقافـي العربي

ثالثا : السخرية من الواقع السياسي العربي

تعد السخرية أحد أساليب الكتابة الشعرية ، وقد اعتمدها نزار في كتاباته وخاصة في ديوانه الأعمال السياسية الكاملة ، فأضافت له جمالية جعـلت القارئ مستمتعا بها ، مركـــــزا في سخريته على العرب وأحوالهم السياسية وما آلت إليه دولهم من عمالة وفساد ، وتنوعت السخرية عنده بعدة أشكال أهمها السخرية من الواقع الاجتماعي، والسخرية من الواقع الثقافي العربي، وكذا السخرية من الواقع السياسي العربي .

أولا _ السخرية من الواقع الاجتماعي العربي :

استحوذ الجانب الاجتماعي نصيبا من اهتمام نزار قباني ونلمس ذلك من خلال قصائده وكمثال عليه نجد :

وَيَمْشِي – كَخَرُوفٍ – خلْفَ كُل اللاَّفِتَات

أَيَّهَا الشَرْقُ الِذي يكْتُب أسْمَاء ضَحَايَاه

عَلَى وجْهِ المَرَايَا ... وبُطُونِ الرَاقِصَات[1]

وصف الشاعر العرب بالخرفان الجبانة ، التي تمشي وراء كل تيار ، ورغـــم الخسائر التي يتكبدونها إلا أنه لا يبالي بها ، إلى درجة أنه يلهو في ملاهي الحياة ، فقد وضعها في قالب سخري تهكمي بحت .

ونجده ساخرا أيضا :

مَا زِلْنَا مُنْذُ القَرْن السَابِع ...

خَارِجَ خَارِطَةِ الأَشْيَاء [2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ، ص 214 .

[2] – نفسه ، ص 218 .

نَتَرَقَبُ عَنْتَرَه العَبْسي

يَـجِيءُ عَلَى فَرَسٍ بيضَاء

لْيُفَرِجَ عنَّا كُرْبَتَنَا

وَيَرُدُ طوابِيرَ الأعْدَاء

مازلْنَا نقْضُمُ كالفِئْرَان

مَوَاعِظَ سادَتِنَا الفقَهَاء[1]

يسخر الشاعر من حال العرب ، فمنذ القرن السابع رمزيته التاريخية في فقدان العرب هيبتهم وعزتهم ومآلهم إلى الانكسار والجمود ، وكأنهم ليسوا من العالم ، وقد قال الشاعر فيهم أنهم خارج خارطة الأشياء مشيرا بذلك إلى ما هو جديد وما هو بين أيديهم ، الأمر الذي آل بهم إلى مضغ الأقوال واجترار بطولات الأجداد وأوهام الأساطير ، فعلقوا مصائرهم بفارس ينقذهم كما كان يفعل عنتره ، ثم أنهم خمدوا عقولهم وأوقفوا التفكير ورضخوا بمواعظ الفقهاء والمتفقهين والمتعالمين ، فصار دأبهم غضم المواعظ واجترار النصائح ، مبتعدين عن الجد في ما يجب ، وفي كل ذلك سخرية من العقل العربي المنشغل بالماضي عن الحاضر والناضر إلى الآخرة ، متناسيا الدنيا فلم يمتطي الدنيا ولا بلغ الآخره .

وفي قصيدة " جريمة شرف أمام المحاكم العربية " نجده يسخر في قوله :

العَالَمُ العَرَبِّي يبلُغُ حَبَة (البَثِ المُبَاشر)

(يَاعِيني عَن الصَّبْر) ، (يَا عِينِي عَنِ الُلغَة)

وَالعَالَمُ العَرَبِّي .[2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ، ص 218 .

[2] – نفسه ، ص 234 .

يَضْحَكُ لليَهُود القَادِمِين إلَيه .

مِنْ تَحْتِ الأظافِر [1]

السخرية هنا تتمثل في استهزاء الشاعـر بحال المجــتمع العــربي ، وما آل إليه حالهم من اغتصاب اليهود لأراضهم ، فيوظف عبارات تكاد تكون عامية (يا عيني عن الصبر ، ياعيني عن اللغة) فيصفهم بالخيانة ، إذ يضحكون لليهود ويستقبلونهم ولا يحركون ساكنا لقتالهم ، بل وأصبح لديهم قابلية التعايش مع العدو اليهودي ، وتعدى الأمر إلى إبرام اتفاقيات سلام التي تحتم عليهم العيش معا في بقعة جغرافية واحدة .

نزار قباني دائما يسخر من العرب التي آلت حالتهم إلى الركود والنوم ، والتناحر فيما بينـــــهم بقضايا بديهية واضحـة لاشك ولا لبس فيها ولا اخــتلاف حيث يقول :

إذَا كُنَا سَنَبقَى أَيُّهَا السَّادَة

لِيَوْمِ الديِّن ... مُختلِفِينَ حَوْلَ كتَابة الهَمزة

وَحَوْلَ قَصِيدَة نُسِبَت إلَى عَمْرُو بِنْ كَلْثوم ...

إذَا كُنَّا سَنَقْرَأُ مرةً أُخْرَى

قَصَائِدَنَا التِي كُنَّا قَرَأْنَاهَا ..

وَنَمْضَغُ مَرَة أُخْرَى

حُرُوفَ النَّصْبِ والجَرِ ... التِي كُنَّا مَضَغْنَاها

إذَا كُنَّا سنكْذِبُ مَرَّة أخْرِى [2]

---

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ،، ص 234 .

[2] – نفسه ، ص 347 .

وَنَخْدعُ مرَّةٌ أخْرَى الجَمَاهِيرَ التِي كُنَا خَدَعْنَاهَا

وَنَرْعُدُ مَرَّةٌ أخْرَى ، ولَا مَطَر ...

سَأَجمَع كَلُ أَوْرَاقِي

وَأَعْتَذِر... [1]

يطرح نزار قضية اختلاف العرب وانشغالهم على الوطن في التصارع حول كتابة الهمزة

ونسبة القصيدة إلى قائلها ويتساءل عن حرمة التصوير الفوتوغرافي أو حِلته ، في حين يغزو اليهود أرضنا ، ثم يشير ساخرا بأن العرب يجترون أقوالهم بتصديق الأكاذيب واختلاف ما يشغل عن الواجب في ما يعدّونه أوجب ، ليقول في النهاية أنه سيجمع أوراقه ويغادر يائسا من قومه ، الذين لم يبق فيهم فارس وتساقطوا ليعلنوا دولة الفساد والخراب ، يقول الشاعر في ذلك :

لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُثْمَان

جَمِيعُهُم هيَاكِلَ عَظْمِيَة فِي مَتْحَفِ الزّمَان

تَسَاقَطِ الفُرْسَان عَنْ سُرُوجِهِم

وَأَعْلنْت دُوَيلَةُ الخِصْيان[2]

يتجلى في هذا المقطع من القصيدة إعلان صريح عن سقوط العرب ، حيث لم يبق منهم فارس واحد فكلهم تخاذلوا وخارت قواهم وذهبت حميتهم المعهودة ، وشجاعتهم التي عرفوا بها منذ الأزل ، بعد أن كانت الحضارة العربية الإسلامية ، مضرب الأمثال وأقوى الحضارات ، غير أنها هوت بعد أن باع العرب ضمائرهم لتحقيق أهداف شخصية على

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ، ص 347 .

[2]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 6، ص 27 .

حساب أمة كاملة ، وقد أعلنوا عن دويلة الخصيان ... فدويلة تصغير للفظة دولة ; والدولة تعني الوطن الكبير ، وهذا دليل استصغار واحتقار للعالم العربي ، وتشريح عميق للحالة التي وصل إليها ، فيقول ساخرا :

جَمِيعُهُم تَضَخَّمَت أثْدَائِهُم

وَأَصْبَحُوا نِسْوَان

جَمِيعُهُمْ يَأتِيهِمْ الحَيْضَ وَمَشْغُولُونَ بِالحَمْل

وبالرِّضَاعَة ...[1]

يصف الشاعر حكام العرب ساخرا من رجولتهم وينعتهم بأنهم نسوان ، وبهذا التخلي لم يبق لهم قيمة لأنهم تشبهوا بالنساء في كل شيء ، وصبوا جل اهتمامهم للحمل والحيض والرضاع ، التي تخص النساء وحدهم ، لذا لم يبق لهم ما يفتخرون به بين الأمم ، ، فنجده ساخرا منهم فيقول :

لَمْ يَبْقَ فِي دَفَاتِرِ التَارِيخ

لَا سَيْفٌ وَلَا حصَان[2]

دفاتر التاريخ هذه هي دستور أمتنا العربية ، دونت فيها أمجادها وتراثها وتقاليدها وأعرافها التي نتوارثها جيلا عن جيل ، أرّخنا فيها حروبنا وانتصاراتنا وحضارتنا التي شيدناها على مدى العصور، إلا أن كل ذلك المجد لم يبق منه شيء .

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 6 ، ص 28 .

[2]– نفسه ، ص 29 .

ولعل السخرية عند نزار أصبحت أسلوبا منتهجا في نظم الشعر ، وحاضرة بقوة في التعبير عن مكنونات النفس حيث أن شعره لا يكاد يخلو منها ، وما زادها حضورا الواقع المرير الذي تعيشه الشعوب العربية فيقول :

جَمِيعُهُمْ تَخَنَّثُوا ..

تَكَحَلَوا ...

تَعَطَّرُوا ...

تَمَايَلُوا أَغْصَان خيزران

حَتَّى تَظُنُّ خَالِدًا ... سُوزَان

ومَرْيم ... مَرْوَان

الله ... يا زَمَان[1]

نلمس في الأسطر السابقة لغة الشاعر التهكمية الساخرة ، كما طرح علينا وجود تبادل في الأذواق حيث أصبحت المرأة كالرجل خرجت إلى الشارع تطالب بالمساواة بينها وبين الرجل حتى في اللباس ، لذا أصبح التفريق بينهم صعبا ،ثم يمعن في احتقارهم ساخرا منهم مصرحا بما استحال لهم وهو للنسوان أصلا ، حتى تكحلوا وتعطروا ، حيث تحول خالد سوزان ومريم مروان ، كما استعـمل مصطلحات جســدت هذه العلاقة بين شعرية السخرية وكيف مثلها بشكل فني متناغم وتصوير دقيق ، وقد جعــل في نهاية كل مقطع مقولة (الله ... يا زمان) وهي إشارة إلى التحســر إزاء الحال التي وصــل إليها العرب ، ويرثي زمانا أصبحنا فيه لا نساوي شيئا .

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 30 .

نحوصل من خلال هذه المقاطع أن نزار قباني تطرق إلى الواقع المرير الذي آلت إليه الشعوب العربية من كذب ونفاق وتدهور للأوضاع وفساد ، إن في ذلك سخرية لاذعة وتهكما صريحا مما آل إليه حال العرب .

ثانيا_ السخرية في الواقع الثقافي العربي :

كان للجانب الثقافي نصيب أيضا من اهتمام الشاعر في ديوانه ونلمس ذلك في بعض المقاطع التالية ولعل بدأ بالشعر كونه شاعرا يتساءل :

وَقُلْ لِي أيُّهَا الشَاعِر:

لِمَاذَا الشِّعْر حِينَ يَشِيخُ... لاَ يَسْتَل سِكِينًا..

وَينْتَحِر؟[1]

«الشاعر يَعرف أن الشعر لا يشيخ ولا يعجز ، لأنه ليس بإنسان ، فتساؤل لم لا ينتحر الشاعر حين يشيخ متهكما بما آل إليه الشاعر من خزي لا يمحوه إلا الانتحار ، فهو يرى الشعر قد شاخ هذا في عزة صوت الشعب وسوت الحاكم ، وسيف الغيور على أهله »[2].

وفي مثال آخر نجده يهاجم أدباء هذا الزمان:

سَقَطَ الِفكْرُ فِي الِّنفَاقِ الِسيَاسِي

وَصَارَ الأَدِيبُ كَالبَهْلُول

يَتَعَاطَى التَبْخِيرَ ، يَحْتَرِفُ الَّرقْص ...

وَيَدْعُو بِالنَّصْر للسُلْطَان ...[3]

---

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ص 349 .

[2] – ينظر: حبيبة محمدي، القصيدة السياسية في شعر نزار قباني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2007،ص91.

[3] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3، ص 477 .

نجد الشاعر في الأسطر يعتبر الفكر قد سقط في النفاق ، وصار الأدب بهلولا ماجنا مخدرا ، داعيا بالنصر للسلطان ، فما ضاع من الفكر والأدب حَرِيّ بأن يتلفَ ما تبقى من كرامة ، فهو يشكو ما آل إليه الأدب والفكر ، ويصف الحالة بأقذح الأوصاف ، فقد أصبح الأدباء يكتبون دون مبدأ والقلم عميلا موجها لا حرا .

وفي سخرية أخرى :

آكَلُوا الطُعْمَ ... وَبَالُوا

فَوْقَ وَجْهِ العُنْفُوَانِ العَرَبي

مَا الِذي يَجْري عَلَى المَسْرَح ؟

مَنِ الكَاتِب ؟ ؟ لَا نَدْرِي

مَنِ هُوَ المُخْرِج ؟ ؟ لا نَدْرِي

وَلَا الجُمْهُور يَدْرِي ، يَا بُنَّي ...[1]

صور الشاعر الضبابية التي تعيـشها البلدان العربية ، ولعل هذه الأسطر تلخص الوضع الثقافي ، فهو يصف المثقفين بأنهم أكلوا الطعم ، وذلوا حتى بالوا فوق وجه العنفوان، وفي هذا الوصف أقذر ما يمكن أن يكون عليه ذليل خائن مخدوع ، ثم يفسر ذلك فيتساءل مستهزءا بما يقدم على المسرح من الكاتب والمخرج مشيرا بذلك إلى أن المخطط والمنفذ مجهول ، يتلقى الأمر فينجزه ، ولا يعلم من أين تأتي الأوامر.

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ، ص 493 .

وفي قصيدة أخرى يلوم العرب من تجردهم من هويتهم ومبادئهم ، ولم يبق من عروبتهم إلا المظهر والشكل الخارجي :

أَتَكَلَمُ الفُصْحَى أَمَامَ عَشِيرَتِي

وَأُعِيـــدُ ... لكِنْ ما هُنَاكَ جَوَاب

لَوْلَا العَبَاءَاتِ الِتي الْتَفُوا بِها

مَا كُنْتُ أحسِبُ أَنَّهُم أَعْرَاب

والعالم العربي إما نعجة ؟

مذبوحة أو حاكم قصّاب .[1]

يرى الشاعر أن اللغة لم تعد تجمعهم ولم تعد العروبة فيهم قطرة من دمهم ، حتى أنهم لولا العباءات التي التفوا بها ما كانوا ليعرفوا أنهم أعراب ، وفي هذا المقطع كثيرا من التهكم الممزوج بالحسرة الملفوف في الأسى ، تتبعه غصة لم تنته ، فقد ضيعت العشيرة الفصحى واحتوشت الرطانة ألسنتهم ، فلم يبق في لسانهم ما يثبت عروبتهم ، ولعله اختزل كل ذلك في قوله :

(والعالم العربي إما نعجة)

(مذبوحة أو حاكم قصاب)

وفي قصيدة أخرى موسومة بعنوان " من يوميات كلب مثقف " تتجـلى لنا السخـــرية لدى الشاعر بالتلازم والارتباط بين الكلب والثقافة ، فقد ربط كائن لا عقل له بالثقافة في حين أن

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ، ص 641 .

هذه الأخيرة ميزة متعلقة بالإنسان ، وَرَدّه حيوان يمتـــلك ثقافة عالية ليكتـب يومياته الخاصة يقول الشاعر :

كُلُ الذِي أَرْجُوهُ أَنْ تَسْمَعَنِي

لأَنَنِّي أَنْقُلُ فِي قَصَائِدِي إِلَيْكَ

جَمِيعَ أَصْوَاتِ العَرَب

جَمِيعَ لَعَنَاتِ العَرَب

إِنْ كُنْتَ – يَا مَوْلَايْ

لاَ تُحِبُ الشِّعْرَ والصُدَاح

فَقُلْ لِسَيَافِكَ أَنْ يَمْنَحَنِي

حُرِيَةَ النُبَاح ...[1]

يخشى الشاعـــر أن لا تنال قصائده الإعجاب وهـذا ما يثيـــر غضبه ، فهـــي شعـــر لمثقف يحمل غضب الدنيا بأكملها ، لذا يخـــاف من أن السّياف سيحرمه حتى النباح ، فلم يتمكن من أن يكون إنسانا له صوت يعبر به عن حاله ، ليتحول إلى كلب يخـاف حـــرية النباح . وفي قصيدة أخرى بعنوان " حوار مع امرأة غير ملتزمة : يقول :

غَيّري المَوْضُوعَ يَا سَيِّدَتِي

غَيّري هَذَا الحَدِيثِ اللَّا أُبَالِي

فَمَا يَقْتُلُنِي إِلَا الغَبَاء [2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج6 ، ص 54 .

[2] – نفسه ، ص 288 .

سَقَطَ العَالَمُ مِنْ حَوْلِكِ أَجْزَاء ...

وَمَازِلْتِ تُعِيدِينَ مَوَاوِيلِكِ مِثْلَ البَبَغَاء

سَقَطَ التَارِيخُ والإِنْسَانِ ، والعَقْل ...

وَمَازِلْتِ تَظنِينَ بِأَنَ الشَّمْسَ

قَدْ تَشْرُقُ مِنْ ثَوْبٍ جَمِيل

أَوْ حِذَاء [1]

كانت فيما مضى للقصـــيدة العربية أهمية بالغة ، كـــونها لسان حال المجتمع العربي ، تحوي آمالهم وآلامـــهم يتعلمون منها ويعملون بها ، وكان للشعراء منزلة عظيمة بين العرب والقبائل ، وتلك القيمة التي امتلكها الشعراء على مدى عصور زالت ، فأصبح الشاعر محض سخرية عند قوم لا يميزون بين دقة الخصر ودقة التعبير ، لأن الكلمة لها تأثير كبير على الشعراء خاصة المثقفين منهم ، حيث يقول :

إِذَا رَأَيْنَا شَاعِرًا

يَفْتَحُ فَوْقَ مَنْبَرِ شِرْيَانِه

مُبَشِرًا بُودْرَةَ التَغْيِير

قُلْنَا لَهُ :

أَعِـدْ .. أعِـدْ

نُرِيدُ أَنْ تُسْمِعَنَا (طَقْطُوقَة) جَدِيدَة [2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 228 .

[2] – نفسه ، ص 248 .

تُنْقِذُنا مِنْ صَحْوَةِ الضَمِير

كَأَنَّمَا وَظِيفَةُ الشَاعِر

أَنْ يُخَدِّرُ العَقْل

وَأَنْ يُعَطِّلَ التَفْكِير[1]

في هذا الأسطر ثبات على أن للكلمة تأثير كبير ، وأن للشاعر إمكانية التحكم في عقول الناس أيما تأثير ، فإما أن ينيرهم إلى طريق الصواب ، وإما أن يضلهم ويتـــخذ من تفكيرهم كما قال في السطرين الأخيرين من المقطع : (أن يخدر العقل – وأن يعطل التفكير) .

يقول أيضا :

إِذَا رَأَيْنَا شَاعِرًا

يَلْفُظُ فَوْقَ المَنْبَر أَنْفَاسَه

فِي قَاعَة ...

تَكْتَظُ بالعَمَال ، والتَصْفِيق ، والصَفِير...

قُلْنَا لَهُ :

أَعِدْ يَا صَاحِبَ الحُنْجرَة الحَرِير[2]

ويقول أيضا :

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 248 .

[2]– نفسه ، ص 250 .

أَعِـدْ..

أعِـدْ..

فَمَا شَبِعْنَا ضَرْبًا

وَلَا أَشْتَرَكْنَا .

فِي طُقُوسِ مَوْتِكَ المُثِير

يَا عَنْدَلِيبَ اللَيْل

يَا شَاعِرُنَا الكَبِير[1]

يركز الشاعر على طبقة الشعراء في هذه القصيدة وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أهميتهم في المجتمع ، وعلى الرغم من المكانة التي يحتلونها فهم محطًّا للسخرية والتهكم أيضا كما ذكر في المقطعين الأخيرين .

وخلاصة القول أن الواقع الفكري الثقافي المرير عند نزار قباني قد انعكس بشكل ملحوظ في مقاطعه التي سخر فيها من هذا الواقع المتدهور والمنحط .

ثالثا_ السخرية في الواقع السياسي العربي :

أثرت الأحداث العربية في نزار قباني انعكست علي شعره واطفي عليها طابعا ساخرا متميز ، حيث تميز شعر نزار قباني بعد نكسة حزيران 1967بالغصب العنيف وبرفض جميع المؤسسات والأفكار ،والخرافات القديمة .كما أنه بشر بولادة انسان عربي جديد ،يتخلص من أوهامه وخدره ورومنطيقيته ،ويواجه القرن العشرين وأسلحته .فكتب بطابع ساخر متميز ولعل قصيدته هوامش على دفتر النكسة خير دليل على ذلك ،فيقول:

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص251 .

أنعي لكم ،يا أصدقائي، اللغة القديمه ..

والكتب القديمه ..

أنعي لكم

كلامنا المثقوب كالأحذية القديمه ..

ومفردات العهر ، والهجاء ، والشتيمه

أنعي لكم ..

أنعي لكم ..

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمه[1] ..

« وربما عمد صاحبنا إلى السخرية يتوسلها قناعا من أقنعة التستر ،يخفي بها حقيقة ضعفه كي لا ينفجر باكيا مثل النساء . هكذا بعد حزيران حين يلتفت الشاعر حوله ولا يرى شيئا تغير . كأن المعركة لا تخصنا بل تعني سوانا ، فنراه يوغل في التشفي الساخر[2]» .

ويقول في مقطع آخر :

يَا مَلِكَ المَغُول ...

يَا قَاهِرَ الجُيُوشِ ، يَا مُدَحْرِجَ الرُؤُوس [3]

يَا مُدَوِّخَ البُحُور ...

يَا عَاجِنَ الحَدِيد ، يَا مُفَتِّتَ الصُخُور

يَا آكِلَ الأَطْفَال ، يَا مُغْتَصِبَ الأَفْكَار ...

يَا مُفْتَرِسَ العُطُور ..

[1] - نزار قباني ،الأعمال السياسية الكاملة ، ج6،ص473.

[2] – خريستو نجم ،النرجسية في أدب نزار قباني ، دار الرائد العربي ، ط1 ، 1983 ، ص362 .

[3] – نفسه ، ص 318 .

واعَجَبِي ! ...

واعَجَبِي ! ...

أَأَنْتَ والشُرْطَة ... والجَيْشَ ...

عَلَى عُصْفُور ؟؟؟ ...[1]

لقد بلغ بالشاعر التهكم درجة الاستهزاء والاستهانة بعقول مخاطبيه من العرب حتى خطبهم بلغة الخرافات التي كانت تُروى ، والتي مُلئت بها رؤوسهم وعمرت بها قلوبهم ، فهو ينادي ملك الماغول قاهر الجيوش ، ومدحرج الرؤوس ، ومدوّخ البحور ومفتت الصخور ، فيصفه بكل قوة وجبروت ، ثم يتعجب منه ومن قوته وجيشه ، وشرطته التي اجتمعت كلها على عصفور في إشارة إلى تفاهة الملك المشبه بملك الماغول ، وهو الحاكم العربي .

هلْ تَطْلُبُونَ نبذَةً صَغِيرَةً عَن أرْضِ (قمعستان)

تِلْكَ التِي تَمْتَدُ مِنْ شَمَالِ افْرِيقِيا ...

إِلَى بلاَدِ نفطسْتَان

تِلْكَ التِي تَمْتَدُ مِن شَوَاطِئ القَهْر[2]

إِلَى شَوَاطئ القَتْل [3]

ابتدع الشاعر أسماءا للوطن العربي تعبيرا عن رفضه لواقع يعيشه المواطن فسماه قمعستان ونفستان ، وفي ذلك إشارة إلى التناقض الصارخ بين القمع والفقر ، رغم الثراء ، وقدي ركز على كلمة قمعستان ، وهي كلمة مركبة جاءت على وزن باكستان وخراسان ...

---

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ، ص 318 .

[2] – نفسه ، ص 320 .

[3]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3، ص 320 .

وقد أوجدت هنا السخرية التي التزمها نتيجة الحال الذي جره العرب على أنفسهم والانتقال بأمور أخرى ، فباعوا أنفسهم وعزتهم ، كما تفرقوا وتشتتوا ولم يبق لهم سوى المذلة تحت دولة القمع " قمعستان " .

وقد تكالب الغرب علينا نحن العرب من أجل الذهب الأسود (النفط) ، ونفطستان معادل لغوي للدول التي تصدر النفط بالتحديد دول المغرب العربي والخليج حيث قال :

هَلْ تَعْرِفُونَ مَنْ أَنَا ؟

مُوَاطِنٌ يَسْكُنُ فِي دَوْلَةِ (قمعستان)

مُوَاطِنٌ ...

يَحْلُمُ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَامِ أَنْ يُصْبِحَ فِي مَرْتبَة الحَيَوَان [1]

أن الوطن عند الشاعر يمتد من شواطئ القهر إلى شواطئ القتل ، والمواطن هو ذلك الذي حلمه أن يعامل معاملة الحيوان ، لأنه في خضم هذا الذّل والإذعان للمواطن العربي لا يستطيع أن يصبح إنسانا في وطنه حتى أن الحيوان أصبح أعلى قيمة ومرتبة منه ، ليعاني الاضطهاد بكل معانيه وشى أنواعه ، ويخشى أن يعيش حياة عادية بكل طقوسها فيقول في هذا الموضع :

مُوَاطِنٌ أَنَا مِنْ شَعْبِ قَمَعِسْتَان

أَخَافُ أَنْ أَدْخُلَ أَيَّ مَسْجِد

كَيْ لَا يُقَالَ إِنِّي رَجلٌ يُمَارِسُ الإِيمَان[2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 33 .

[2]– نفسه، ص 34 .

إن المواطن المنتمي إلى شعب (قمعستان) ، على الرغم من أنه منهم إلا أنه يخاف أن يدخل في مسجد كي لا يقال أنه رجل يمارس الإيمان ، كـأنّ دخـــول المسجد للصـــلاة أو العبادة هو ممارسة لشهوة وأداء لمعصية ، يخشى منها الإنســـان في زمـــن أصبح الجـــهر بالمعصية عاديا ، كمن يذهب للعبادة .

ويقول :

هَلْ تَعْرِفُونَ الآنَ مَا دَوْلَةِ قَمَعِسْتَان ؟

تِلْكَ التِي أَلَّفَها ... لَحَنَهَا ...

أَخْرَجَهَا الشَيْطَان[1]

علمنا أن الدولة التي نستفهم عنها هي دولة مـــن صنـــع الشيطان ، خـصالها وقوانينها ومبادئها وكل شيء يخصها من تأليف وإخـــراج الشيـطان ; أي الإنســـان الذي عـلى هيئة شيطان مارد ليس له علاقة بالإنسانية ، ينكل بالأبـــرياء والضعفاء ويحـــرمهم حتى الحياة البسيطة ، والشاعر السياسي نجده قد خاض في قضايا الأمة العـربية بين عـــادل لها وناقد حاد اللسان دون خشية ، فهدفه أن تتـحد الهمم ، وتتغـــير الأزمنة ويستفـيق العـرب من سباتهم الذي طال ، وفي خضم كل هذا التواتر للقصائد السياسية المشعـرنة بصرخة الغضب ، التي طالما أشعلت نيرانها ولا تكاد تنطفئ .

ولا نبتعد كثيرا إلا ونجد أنفسنا بين لغة الشاعر الساخرة فيقول :

يَا سَيّدَتِي إِنِّي رَجُلٌ لَمْ يَتَخَرَجْ مِنْ بَارَاتِ السُلْطَة

فِي أَحَدِ الأَيَام ...

أَوْ اشْتَغَلْتُ وَظِيفَةَ قِرْد ...

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج6 ، ص 36 .

بَيْنَ قُرُودِ وَزَارَاتِ الإِعْلَام!![1]

يُعرّف الشاعر نفسه على أنه منـــزه مــن نجاسة السلطة متبرئا منها ، إذ أنه لم يـشغل منصبا فيها ، ونعتهم بالقرود وهو لا ينتمي إليهم ، ويقول في قصيدة " خبر ثقافي "

فَقَدْ رَسَمْنَا مَا يَلِي :

يُطَلَبِ مِنْ وَزَارَةِ التِجَارَة

أَنْ تَمْنَعَ اسْتِيرَادَ أَيَمَا كِتَاب

وَتَقنع التُجَارَ أَنْ يَسْتَورِدُوا النُّخَالَة ...[2]

إنّ السلطة الفاسدة تعمل جاهـدة على اعتقال عقــول البشر كي تكـون السيطــرة سهلة ، فلا يمكن القضاء على مجتمع ذو مستوى عال من الـوعي ، وهــذا الأخيـــر لا يحضر إلا بالقراءة والمطالعة والاستزادة مما ينتـــجه كتاب الطبقة المثــقفة لذا نجــد العلاقــة قوية بين عنوان القصيدة ومحتوى المقطـع الذي بين أيدينا ، فالسلطة تـــحارب الثقــافة التي بــدورها ترقى بالشعوب بدل من أن تساق كالأغنام .

وفي مقطع من قصيدة " أنا يا صديقتي ... متعب بالعروبة " تهكم نزار من الوضع السياسي والفكري الذي آل إليه حال العرب :

مِنْ أَيْنَ أَدْخُل فِي القَصِيدَة يَا تُرَى ؟

وَحَدَائِقَ الشِّعْر الجَمْيل ... خَرَاب

لَمْ يَبْقَ فِي دَارِ البَلَابِل بُلْبُل

---

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 180 .

[2]– نفسه ، ص205 .

لَا البُحْتُرِي هُنَا ... وَلَا زِرْيَاب

شُعرَاءَ هَذَا الزَّمَان ، جِنْسٌ ثَالْث

فَالقَوْل فَوْضَى ... والكَلَام ضَبَّاب

يَتَكَلَمُونَ مَعَ الفَرَاغ ... فَمَا هُمْ

عَجَمٌ إِذَا نَطَقُوا ... وَلَا أَعْرَاب

اللَّاهِثُونَ عَلَى هوامِشِ عُمُرِنا

سَيَّانٌ إِنْ حضَرُوا ، وَإِنْ هُمْ غَابُوا[1]

يتساءل الشاعر حائرا من أين أدخل القصيدة يا ترى ؟ وكأنه لم يعد للقصيد مُدخلا ومُنقذ لما حل بها من خراب ، فقد ضاع الوتر والنغم ، ولم يبق من يحيي البحتري ولا زرياب ، وهما رمزان لرمز العزة والقوة والعنفوان ، ثم يجمع شعراء هذا الزمان فيصفهم جنس ثالث ، فقد فقَد الخصب وأحل الجذب ، ساق الفوضى وفقد الوضوح ، فكأنما يتكلمون مع الفراغ ، فلا هم عجم ولا أعراب .

وطالما كان الأدب يعالج القضايا العامة للمجتمعات ، ولكن هذا كان فيما مضى قبل أن يسيس الأدب في زمن سيطرت سياسة النفط وغيـرت مسار الأدب ، ومن هنـا يستـوحي الشاعر عنوان القصيدة " النصائح الأدبية في أدب الكتابة النفطية " فيقول الشاعر في خضم ذلك :

لَوْ شاءَتِ الأَقْدَارِ أَنْ تَكُونَ كَاتِبًا

يَجْلِسُ تَحْتَ جُبَةِ الصَحَافَةِ النَفْطِيَة

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 637 .

فَهَذِهِ نَصَائِحِي إِلَيْكِ :

1-أدخل إلى مدرسةٍ تعلِمُ الأمِية

2-أكتبُ بلا أصابع..وكن بلا قَضية

3-إمسحُ حِذاَءَ الدولةِ العلِيه

4-إشْطُبُ مِنْ القَامُوسِ كَلِمَةِ الحُرِيه

5-لَا تَتَحَدَثُ عَنْ شُؤُونِ الفَقْر ، والثَوْرَة

في الشَوَارِعِ الخَلْفِية

6-لاَ تنتقدُ أجْهِزَةِ القَمْع ،ولا تضع

أَنْفَك فِي المَسَائِلِ القَومية

7-كُنْ غَامِضًا : فِي كُلِ مَا تَكْتُب

وَأَلْزم مَبْدَأ التَقِية

8-خَصِصْ عَمُودَكَ اليَوْمِي لِلأَزْيَاء

والأَزْهَارِ ... والفَضَائِح الجنسية [1]

ينصح الشاعر من كُتب عليه أن يكون كاتبا أن يدخل مدارس تعلم الأمية وفي ذلك قمة السخرية ، فالكاتب لم يكتب بما عرف ولكن عليه أن يتعلم لغة البترودولار ، وشتان بين اللغتين ، لأن ما يتعلمه تحت الجبة النفطية سيقطع أصابعه ، كي لا تكتب أو تشير إلى ما قد يرى ، سيجرده من أي قضية وما عليه إلا أن يلعق حذاء سيده ويجعل من العبودية معجما لما يكتب ، فلا شؤون الفقر تعني ولا ثورة الشارع تُغني فأجهزة القمع قوة للمدح ، إن على الكاتب أن يُغمدُ القضية ويعمد التقية ، وأن يعتني بتوافه الأمور من أزياء وفضائح ، وفي ذلك كله تصوير لشكل من أشكال المساومة للدخول في مجال الكتابة النفطية ، وتلك

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 253 – 254 .

المساومة تتم بموجب إتباع النصائح التي عددها الشاعر والتي تحمل من السخرية ما تحمل، ولذلك فالدخول في هذا العالم يستلزم التضحية بأغلى ما يملك الإنسان ما نسميه بالحرية .

لمسنا من خلال أشعار نـزار قباني استعماله لأسلوب السخـــرية والاستهــزاء بكثـرة ، وقد استعملها كغطاء ليعبر عن آرائه بحـرية ، وهذا ما لمسناه في جـــل أشعاره خاصة السياسية لما لها من حساسية ، حيث أن الشاعر يترجم أرائه السياسية عن طريق شعره .

الفصل الثاني

طرائق تفعيل السخرية

أولا : الاغتراب

ثانيا : التكــرار

ثالثا : استدعاء الشخصيات التراثية

رابعا : الحـذف

استعمل نزار قباني السخرية في عدة مواضع ، كالاغتراب والحذف والتكرار واستدعاء الشخصيات التراثية وغيرها ، كل هذه الظواهر فَعَّلَت من السخرية في قصائده .

أولا_ الاغتراب :

من الظواهر التي زخم بها شعر نزار قباني الاغتراب " والذي يعني الشعور بالغربة النفسية والروحية والاجتماعية وهو في وطنه " .[1]

وكمثال عن ذلك قوله :

أمْشي غَريبَ الوَجْه في غَرْنَاطَة .. .

أحتضِنُ الأطفالَ

والأشْجَار ...

والمَآذِنَ المقلوبَة ...

فهاَ هُنا المرابِطُون رابَطُوا ...

وها هنا المُوحِدُونَ خَيّمُوا ... [2]

هنا الشاعر في هذه الأسطر ، يشعر بالغربة حيث لجأ إلى الارتماء في أحضان الطبيعة والعزلة ، حيث اعتبرها متنفسا للتعبير عن انطباعاته وهمومه .

وفي مثال آخر نجده يقول :

[1]– سناء حامد زهران ، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، ص 106 .

[2]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، منشورا ت نزار قباني ، بيروت ، ج3 ، ص 311 .

حَاوَلْتُ أنْ أقْلَعَهُم

مِنْ دبْقِ التَاريخ ...

ومِنْ رُزْنَامَة الأقْدَار ...

ومِنْ (قِفَى نَبْكِي) ...

ومِنْ عِبَادَةِ الأحْجَارِ...

حَاوَلْتُ أنْ أُفَكِرَ عَنْ طُرْوَادَةِ حِصَارَهَا

حَاصَرَنِي الحِصَار.[1]

فالشاعر يحس بعدم الحرية والتقيد في وطنه ، فهو يحاول أن يغير ما يجب تغييـره ، لكنه لم يستطع .

فنزار دائما يشعر بالاغتراب في وطنه ، جسمه موجود ، وروحه وعقله وفرحته غير موجودة ويفتقد إلى كل شيء ، وفي هذه الأسطر اغتراب صريح جدا ، حيث قال :

عِشْرُونَ عَامًا ... وَأنَا ...

أبْحثُ عنْ أرْضٍ ... وعَنْ هُوِيَةٍ ...

أبْحثُ عنْ وطَنِي الِذي هنَّاك

عنْ وطِني المُحاطِ بالأسْلاك [2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 312 .

[2] – نفسه ، ص 312 .

أبحَثُ عنْ طُفُولِتي وعَنْ رفاقِ حَارتِي

عنْ كُتبِي ... عَنْ صُورِي ...

عنْ كلِ ركْنٍ دافِئٍ ... وكُلُ مِزْهرِيْةٍ . [1]

يصور الشاعر حالة الغربة التي يعيشها في وطنه ، فهو يفتقد إلى الأرض والرفاق والحارة والطفولة والكتب والصور الجميلة ، إلى الدفء والحنان ، وللدلالة على البعد وعمق الاغتراب استعمل اسم الإشارة " هناك " .

وفي موضع آخر نجد الاغتراب في قوله :

هَلْ في العُيونِ التونسيَةِ شَاطِئ

تَرتَاحُ فَوْقَ رِمَالِهِ الأَعْصَاب ؟

أنَا يَا صَديقَة مُتْعَبٌ بِعُروبَتِي

فهَلْ العُروبَةُ لعْنَةٌ وعِقابْ ؟

أمْشي عَلى وَرَقِ الخَريطَة خَائِفًا

فَعَلَى الخَريطَة كُلُنَا أغْرَاب . [2]

يصور لنا الشاعر إحساسه بالغربة في وطنه وبالخوف وعدم الاطمئنان إلى درجة أنه كره عروبته ، وتمنى لنفسه أن لو لم ينتسب لها ، لأنها أصبحت عبئا ثقيلا وشيئا متعبا ، لدرجة أنه اعتبرها نوعا من العذاب ، بل إلى درجة أنه وصفها باللعنة والعقاب .

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 321 .

[2] – نفسه ، ص 641 .

وفي هذا المقطع يقول الشاعر :

مَا أَرْدَأَ الأحْوال فِي دولة (قَمْعِسْتَانْ)

حيثُ الذُكُور نسخَة عَن النِساءْ

حيْث النِساءُ نسخَةٌ عَن الذُكُور

حيْث التُّراب يَكْرَهُ البُذُورْ[1]

يصرح الشاعر عن أحوال دولة قَمْعِستَان " وهي دولة تخييلية تحمل اسما ساخـرا معادلاً من ناحية الدلالة المعجمية لدولة أفغانستان " التي تميزت بسوء الحال وأصبح كل شيء في غير محله ، هذه العلاقة المتينة بين التربة والبذرة كعلاقة المواطن الوطـيدة بالأرض ، فيها تنشأ وترعرع في حب وسلام ، فتحول ذلك الحب إلى كره ونفور وعدم انتماء .

فقد حول الحكام العرب تلك العلاقة الحميمية بين التراب والبذرة إلى علاقة توتر دائم وغربة روح داخل الأوطان والبذور هم أبناء ذلك الوطن الكبير الذي سلبت حريته وتناثرت وحدتهم بين مغترب ومنفي ، وآخر يعيش غريبا في وطنه وبين أهله .

ولعل الاهتمام بموضوع الحرية العامة والشعور بالتعب جراء الالتصاق ، جعل من الشاعـر متميزا بقصائد الحب والمرأة التي تحمل من الرقة والعذوبة قدرا غير محدودا باعتباره شاعرا سياسيا محنكا، كلمته قاسية ولا يأبه لأحد ، ومهمته الوحـيدة هي إيصال فكرة التحرر إلى العقول البشرية وإنارتها .

فنجد الشاعر دائم التوجه إلى الشعوب مخاطبا العقول حيث يقول :

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، منشورا نزار قباني ، بيروت ، ط2 ، 1999 ، ج 6 ، ص 35 .

يا أصْدِقَائِي

إنَنَي مُواطِنٌ يَسْكُنُ فِي مَدينَةٍ

ليسَ لهَا سُكَان

لَيْسَ لَهَا شَوَارْع

لَيْسَ لَهَا أرْصِفَة

لَيْسَ لَهَا نَوَافِذ

لَيْسَ لَهَا جُدْرَان

لَيْسَ بِهَا جَرَائِد

غَيْرَ التِي تَطبعُها مَطابِع السُّلطَان ...[1]

بدأ هذا المقطع بالنداء ، كأنه سيلقي خطابا على شعب هو ينتمي إليه ، إلا أن أفراده جميعا غير موجودين في المدينة ، وفي هذا تصوير دقيــق لحيثيات المجتمع العربي ومستجداته ، فتمنحنا صورا واضحة لقضاياه ، وتطلعنا على خباياه المحلية منها والدولية ، وما يدور من حولنا ، وبهذا فالبـــنية التحتية مصـــــدرها ولي النعمة (الحــاكم) ، الذي يــرى شعبه ما يراه، ومن هنا تتجلى لنا شعـــرية الاغتـــراب التي يعيشها المواطن العـــربي تحت ظل الأنظمة الطاغية المتخلفة .

ابْقِ مِن صَوتِك مشْنُوقًا إلى يَومِ القِيَامة [2]

[1] - نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 36 .

[2] – نفسه ، ص 138 .

ابْقِ مِنْ عَقْلِكَ مشْنُوقًا إلى يَوْمِ الِقيَامة

ابْقِ فِي البِرمِيل حَتَّى لا تَرَى

وَجْهُ هَذِهِ الأمَّة المُغتَصَبة

أنتَ لَوْ حَاولْتَ أنْ تَذْهَب للسُلْطَان

أوْ زَوْجَتُه أوْ صِهْرِه المسْؤول عَن أمْنِ البِلاد

والذِي يأكُل أسْماكًا .. وتُفَّاحًا .. وأطْفَالاً

كَمَا يَأْكُل لَحْمَ العِبَاد ..

لَوَجَدْتَ الضَوْء أحْمَر[1]

من خلال هذا المقطع الذي بين أيدينا ، نلاحظ أن القصيدة قد جاءت بصيغتي الأمر والنهي معا ، ودليل ذلك تكـرار فعل الأمـر " ابق " وأداة النفي " لا " ، فهو ينهي الشعوب العربية من ممارسة مقومات العيش لأن السلطة تمنع ذلك وتضع الضـوء الأحمر لمن يتجاوز هذا الحد وتنهاهم عن حق التكلم وحق التفكير، وإن فكر فعليه أن يبقيه لنفسه ولا يبـوح به حتى إلى الحائط ، ذاك الجـماد الذي أصبـحت له أذنان في زمـن كثـرت فيه الخـيانة ، وأية محاولة للعيش تجد الضوء الأحمر معترضا طريقها ليقف حائلا بينها وبين ما تريد .

وفي محاولة لفضح سعي السلطة نحو تكميم الأفواه وكبت الحريات :

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 138 .

أنْتَ لَوْ حَاوَلْتَ أنْ تَقرَأ يَوْمًا

نشْرَةِ الطَقْسَ وسَمَاء الوَفَيَات وأَخْبَار الجَرائم

لَوَجَدْتَ الضَوْءَ أحْمَر..

أنْتَ لَوْ حَاوَلْتَ أنْ تَسْأَلَ عَنْ سِعْرِ دَوَاءِ الربْو..

أَوْ أَحْذِيَة الأطْفال أَوْ سِعر الطماطم ..

لَوَجدْتَ الضوْء أحْمَر..

أنتَ لَوْ حَاوَلتَ أن تَقرأَ يومًا صفحَة الأبْراج

كَيْ تعْرِف ما حظِك قبْل النفْط ، أو حظِك بعْدَ النَفْط ..

أو تَعرفَ ما رقْمكَ مابينَ طَوابيرَ البَهَائم

لوَجدْتَ الضَوء أحْمر ..[1]

يتضح من خلال هذه الأسطر سعي السلطة لتنكيد العيش ، والتقليل من شـأن البشر والحط من قيمتهم ولعل هذا كله جاء نتيجة النفـط الذي تتكل عليه جـل الدول العربية فهو مصدر رزقها الـذي أصبـح يشكـل خطـرا على الشعـوب العـربية ، لأنه ثـروة في طـريقها إلى الزوال ، فقـد صار نقمة عليهم لا نعمة ، حيث تسلط الغرب على الثروة لاستغلالها ضدنا والسيطرة بها على المستضعفين من أمتنا ، يقول الشاعر في هذا الصدد:

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج 6 ، ص 139 .

أنتَ لَوْ حاولتَ أن تسألَ أستاذكَ في الصَّفِ .. لمَاذا ؟

يتسَّلَى العَرَبَ اليَوم بأخْبَار الهَزَائِم ؟

ولمَاذا عَرَبُ اليومَ زُجَاجٌ فَوْقَ بَعْضٍ يتكسَّر

لَوَجدْتَ الضَّوءَ أحْمَر ..[1]

وفي مواصلة للحديث عن الاغتراب أيضا قال :

لا تسافِر بِجِوَاز عَرَبِي

وانْتَظر كالجَرْذَ في كُلِ المَطَارَات.. فَإِنَ الضَوءَ أَحْمر[2]

فالعــربي لا يكـفيه أنه مغترب في وطنه منبوذ مستبعد في كل الأوطان ، فلا مكان يحتويه ولا مكان يمكن اللجوء إليه ، ليعيش كل حياته مختفيا بين الحفر كالجرذ .

كذلك في مقطع آخر تجسدت شعرية الاغتراب من خلال ما يلي :

يا صَدِيقِي ..

لا تُسر وحْدَكَ ليلًا ..

بيْنَ أنْيَابِ العَرَب ..

أنْتَ في بيْتِكَ محْدُودَ الإقامَة [3]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 33 .

[2]– نفسه، ص 141 .

[3] – نفسه ، ص 143 .

أَنتَ فِي قومِك مجْهُولَ النَّسَب

يا صَديقِي ..

رَحِمَ الله العَرَب ! ! ![1]

يشير الشاعر في هذه الأسطر إلى فقدان الأمن والاستقرار في البلدان العربية ، فقد أصبحت موحشة مليئة بالحروب والفتن ، متجردة من معالم الحياة .

وفي قصيدة أخرى نجد الشاعر يعتريه شعور مليء بالأسى والحزن حيال أبسط الحقوق التي يمتلكها جميع البشر وحرم منها ، وهي وطن طالما حلم به ، غير أن حلمه لم يتحقق ، حيث عبر قائلا :

يَا سَيّدَتي ..

إنَّ النَّملةَ تَمْلكُ وطنًا

إنَّ الدودةَ تملكُ وطنًا

إنَّ الضِفْدَعَ يَمْلِكُ وطنَا

إنَّ الفأرةَ تَملكُ وطنًا

إنَّ الأرنبَ يملكُ وطنًا

والسَّحليَة ، والصَرْصَار [2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 33 .

[2] – نفسه ، ص 188 .

وأنَّا مَا مَلكنِي أحَدٌ وطنًا

وَلِذَا ، أَسْكُن يَا سَيّدَتي

وَطنًا ، بالإيجَار ..[1]

من خلال المقطع نــرى أن الشاعر دائم الشعور بالغربة : غـربة الأوطان ، فأقصى أمانيه امتلاك وطن يحتوي غريزة الإنسان في الانتماء إلى مكــان ، وما " السيدة " التي يخاطبها الشاعر في العديد من القصائد – وقد تكررت في هذه القصيدة – إلا وطنه الذي يناشــده مــدى حياته .

وفي قصيدة أخرى تحمل كل معاني الوحدة والاغتراب الـروحي ، والذي أصبـــح حـــال المواطن العربي منذ ذلك المنعرج التاريخي " نكسة 1967 " ، وصــدمة كـــل العـــرب التي غـــيرت كل حــياتهم يقول الشاعر :

لَيْسَ هُنَاكَ مَكَان

يَجْلِسُ فيهِ الكَاتِب

ليْسَ هُناكَ مَقْهَى

يَنْطِق الجُملَة فيِ الجِبانَة

نِصْفَ الفكْرة فِي المسْتشفَى[2]

الشاعر حاله حال كل الكتاب العـــرب ليس له مــكان يأوي إليه ، إن كان إنسانا عاديا أو كاتبا ، والكتاب على وجه الخصوص مستهــدفون لكونهم يعــبرون عن

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج6 ، ص 188.

[2]– نفسه ، ص 191 .

صـرخات الأمة ، ويواجهون السلطة بقوة القلم واللسان ، وعلى الرغم من ذلك فإن هاته القوة لا تكـــفي لقلة الوعي ومحدودية ثقافة الشعوب العربية ، حيث قال في هذا الصدد :

كيْفَ سَنتْلُو آيَ الذكْرِ علَى جُثَثِنَا ؟

إنَّ مَبَاحِثَ أَمْنَ الدَوْلَة تطلُبَ منَّا

أنَّ لاَ نَضْحَك .. أنْ لا نَبْكي

أَنَّ لاَ نَنْطِق

أنْ لاَ نعشق

أَنَّ لَا نلْمُسَ كَفَ امْرَأة ..

أَنَّ لَا ننجِبَ وَلَدًا

أَنَّ لاَ نُرْسِلَ أيُّ خِطَاب

أَنَّ لاَ نقْرأ أَيُّ كِتاب

إِلَّا عَنْ أَحْوَالِ الطقْس ، وإِلَّا عَنْ أسْرار الطَّبْخ

فتلْكَ قوَانينَ المَنْفَى [1]

نشعر في هذا المقطع أن الإنسان العربي قد سلبت منه أقل الحقوق حُـــرِم ممارسة أي فعل طبيعي إنساني ، لذلك يعيش مهمشا لا قيمة له ، حتى بعد الممات لا يكرم .

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 196 .

إن الوضع السياسي في عصرنا أدى بالإنسان إلى عـيش حالة الاغـتراب ، التي تمثل علاقة المواطن بدولته ونظامها السياسي ، ونشأت حالة الاغتراب بعدما تعــود المسلم على مبدأ الشورى والمساواة ، وهذا التـعـود جعله يتفاجئ بالنظام السياسي المعاصر البــعيد كل البعد عن العدل والمساواة ، هذا ما أدى بنــزار قباني إلى تقمــص هذه القضية للتخـفيف من هذه الآلام بالقــول والكــلام وجسدها من خلال أعماله السياسية الكاملة .

مما سبق ذكره نلحظ أن نزارا قــد جسد ظاهــرة الاغـتــراب في أشعــاره وبخاصة السياسية وصورها في قالب مميز أعطى لها جــمالية وتشويــقا وإثارة حيث تتــرك القارئ يغــوص ويسترسل في قراءتها بحثا عن دلالاتها البعيدة .

ثانيا_ التكرار :

يمثل التكرار ظاهرة لافتة للنظر في القصيدة المعاصرة ، ولعل نزارا من أهم الشعراء الذين وظفوا هذه الظاهرة في قصائده ، وبخاصة السياسية للإصرار على الفكــرة وتأكيدها وإثباتها وهي ليست عيبا في كتاباته على عكس الكتابات القديمة ، التي تعتبر التكــرار عيبا وركاكة في التعبير ، فالتكرار في قصائد نزار قباني أضاف جمالية وقوة في المعنى ، حيث السخرية الحرة تجد أعمق تجلياتها في هذا التشكيل الشعري :

الشَّمسُ تشرقُ مرةً أخْرى ...

وعمَالُ النَّظافَة يجْمعُون أصَابِعَ المَوْتى ...[1]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3، ص 340 .

وألعَاب الصِّغَار ...

الشَّمسُ تشْرُقُ مَرَة أخْرى ...

وذَاكرَة المَدَائن مِثْلَ ذاكِرةِ البغَايَا والبِّحَار

الشَّمْسُ تشْرقُ مَرَةٌ أخْرى ...

وَتَمْتَلِئ المَقَاهِي مَرَة أخْرى

وَيَخْتَتِمُ الحِوَار...[1]

نلاحظ هنا إعادة توظيف عبارة (الشَّمْسُ تَشْرُقُ مرَّة أخْرى) عدة مـرات بشكـل يذكـرنا بالأزمة الشعرية ، للتأكيد على فكرة أن الحياة تستمر على الرغم من كل الظروف القاسية ، وأنه لا بد من بزوغ يوم جديد يبعث على الأمل والحرية ، بحيث يغير مجرى الحياة .

ومثلما يسخر نزار من أثر الشمس على حياة الناس نجده يسخر من أثر الزمن على حياة الناس :

ثُمَ جَاءَ زمَان

ثُمَ هَلْ جَاءَ زمَان ؟

أصْبَحَ التحْرِير والتخْذِير فيهِ توأمَان

ثُمَّ هلْ جَاءَ زمَان ؟ [2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج 3 ، ص 340 .

[2] – نفسه ، ص 426 .

أصْبَحَ الفعْلُ فيهِ ضِدَّ اليدَيْن

ثُمَّ هلْ جَاءَ زمَان

صَارَ فيهِ الحَرْفُ ضِدَّ الشَفَتَيْن ؟[1]

كرر الشاعر عبارة (ثمَّ هَلْ جَاءَ زمَان) عدة مرات من أجل تأكيد غـــرابة الزمان وغربته ، وهو الذي أصبح فيه الفعل ضد اليدين ، والحرف ضد الشفتين معلنا بــذلك أن الإنسان ضد نفــسه وضد أهدافه وقضاياه .

وفي قصيدة " يا ست الدنيا يا بيروت " يتحدث فيها عن السخرية من شكل اللقاء الذي اجتمع فيه الحب بالخراب :

مَنْ كَانَ يفكِّرُ أنْ نَتَلاَقَى – يا بيرُوت – وأنْتَ خَرَاب ؟

مَنْ كَانَ يفكِّرُ أنْ تنمُو للوَرْدَة آلاَفَ الأنْيَاب ؟

مَنْ كَانَ يفكِّرُ أَنَّ العَيْنَ تقاتِل في يَوْمٍ ضِدَ الأهْدَاف ؟[2]

إن تكرار الجملة الافتتاحية (مَنْ كَانَ يُفَكِّر) يحمل صدمة عنيفة ناتجة عن وجود أعداء للوردة على الرغم من أن الوردة يحبها كل الناس ، كما يتعجب من تقاتل الإخوة فيما بينهم مثلما تتقاتل العين والأهداب .

ونجد أيضا التكرار في قصيدة " الخطاب " في قوله :

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3 ، ص 426 .

[2]– نفسه ، ص 451 .

يَا أَمِيرَ البَحْرِ والَّبرِ ، ويَا عَارِ عَلَى الحِبَّاب

سَيْفُ اسْرَائيلَ في رقبَتِنَا ...

سَيْفُ اسْرَائِيلَ فِي .....

سَيْفُ اِسْرَ.....[1]

إنه التكرار الدال على الصراخ من العدو الصهيوني الذي خنق كل المنافذ ، هذا العــدو الغاصب الذي أعطى للحياة ظلا أســودا، ورمى بســيوفه تجاه شعبنا البريء ، حتى إن الشاعر كتب سطوره بهذه الطريقة المليئة بالنقاط للدلالة على سوداوية الوضــع وتأزمه .

وفي قصيدة " مع الوطن .. في زجاجة براندي " يعبر بطريقة ساخرة عن شوقه إلى وطنه :

عِنْدَمَا أَشْتَاقُ إِلَى الوَطَن

أَحْمِلُه مَعِي إلى خَمَارةِ المَدينة ...

وَأَضَعَهْ عَلَى الطَّاولة

أَشْرَبُ مَعَهُ حتَّى الفَجْر

وَأُحَاوِرُهُ حَتَّى الفَجْر[2]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 276 .

[2] – نفسه ، ص 221 .

وَأَتَّسَكَعُ معَهُ في دَاخِلي القنِينَة الفَارغة

حَتَّى الفَجْر ...[1]

لقد تكررت كلمة "الفجر" ثلاث مرات في هذا المقطع ، والتي تحمل العديد من الدلالات; فالفــجر هو بداية ليوم جديد وانكشاف ظلمة الليل عن نور النهار ، كما أنه يوحي بالأمل في غد أفضل ..

إن التكرار في الشعر المعاصر من أبرز السمات الفنية التي يلجـــأ إليها الشاعر المعاصر على العموم ونــزار قباني على وجــه الخصوص ، يقـول في المقطع التالي الموسوم بـ : " مع الوطن في زجاجة براندي " :

عِندمَا تفْقدُ الزُّجاجَةُ ذاكِرَتها

أَرْسُمُ الوطَن علَى شكْلِ مشْنَقَة

تتدلَى منهَا قصَائِدي في احْتِفَالٍ مُهِيب

يَحْضُره البابُ العَالي ...

وَكَلْبُهُ السُّلُوقِي

وَمُسْتَشَارُهُ السُّلوقي

وَرئيسَ مَصْلَحَة دفْنَ المَوْتى

وَوَزِيرَ التَعليمِ العَالي[2]

[1] - نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 221 .

[2] – نفسه ، ص 125 .

وَرئيسَ اتحَاد الكُتَّاب

ورئيسَ الكَهَنَة ... ورئِيسَ القُضَاة .. [1]

يسخر الشاعر من أصحاب النفوذ وكبار القادة ، ويحملهم مسؤولية ضياع الوطن والزج به إلى حبل المشنقة .

يمكننا أن نلمس هذه الظاهرة في العديد من القصائد النزارية ، التي تلفت انتباه القارئ وتنير في ذهنه أشياء قد غيبت ، لذا يعتبر التكرار أحد وسائل التأثير في المتلقي .

وقد تواترت هذه الظاهرة الفنية في قصيدة أخرى بشكل واضح جلي على مستوى العنوان " أحمر.. أحمر.. أحمر.. " حيث جاء العنوان تكرارا ثلاثيا لكلمة واحدة هي " أحمر" ويخلل ذلك وجود نقاط بين كل كلمتين ، وهو الأمر الذي يمكن أن يشير إلى سكت دلالي مثلما قد يشير إلى ظاهرة الحذف التي تتواتر في القصيدة المعاصرة .

ولعل تكرار الكلمة من أبرز الظواهر التي تخلق لونا موسيقيا مغايرا في القصيدة النزارية خصوصا ، وقد يأتي التكرار عادة للتأكيد على الشيء أو شد الانتباه ، يقول الشاعر:

لاَ تُطَالِع كُـتُبًا في النَّقْدِ أو الفَلْسَفَه

إنَّ زُوَارَكَ عند الفَجْر

مَزْرُوعُونَ مثلَ السُوسِ ، في كُلِ رُفُوفِ المَكْتبه

ابْقِ في بَرْمِيلِكَ المَمْلُوءِ نْمْلًا .. وبعُوضًا .. وقمامَه

ابْقِ مِنْ رجلَيْكَ مشْنُوقًا إلى يوْمِ القيَامَه [2]

---

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج 6 ، ص 125 .

[2]– نفسه ، ص 138 .

ومما سبق ذكره يمكن أن نقول إن ظاهرة التكـرار التي وظفها الشـــاعر نزار قباني في قصائده، أضافت عليها نوعا من الوضوح والقوة في المعنى ، بحيث تشـــد القارئ وتجعـله يستمـــر في قراءة الأسطر دون ملل أو كلل ، كما أنه ينقله ويطوف به من معنى إلى معنى آخـــر مغايرا مع تشكيل إيقاع موسيقي مميز .

ثالثا_ استدعاء الشخصيات التراثية :

لا ينفك الشاعر العربي من الرجوع إلى ماضيه مهما تـــقدم به الحـــال ، فالحاضر متعلق بالماضي، يستدعي شخصياته وينصهر فيها، يعرض قضاياه وانتصارات وهزائمه، فشعـــر نزار قباني ثري بالشخصيات التراثية ، وهذا دليل على أنه شاعر مطلع ، ذو ثقافة عالية ومتنوعة ، ورؤية ثقافية موسوعية .

وفي سياق الحديث عن توظيفه للعناصر الإسلامية في تجربته الشعرية نمثل بالمقطع الشعري التالي عندما أشار إلى عباءة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيف عمر:

رِجَالُنَا يأْتُونَا دُونَ مَوْعِد

فِي غَضَب الرَّعدِ ، وَزَخَاتِ المَطَر

يَأْتُونَا في عَبَاءَةِ الَّرسُول

أَوْ سَيْفِ عُمَر [1]

فهذه الشخصيات التي وظفها الشاعر في الأسطر السابقة تدل على تشبعه بالثقافة الإسلامية كما أشار إلى رموز أخرى نجد منها شخصية المسيح :

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج 3، ص 179 .

سَرَقْتُمْ المَسِيحَ مِنْ مَنْزِلِهِ في النَّاصِرَه

وَصَفَقَ العَالَمُ للمُغَامَرَة

وَتَنْصِبُونَ مَأْتَمًا

إذَا خَطَفْنَا طَائِرَه ...[1]

وفي مقطع آخر أشار إلى امرئ القيس ، وأبي تمام حيث قال :

بَاقُونَ فِي شِعْرِ امْرُئ القيس ، وفِي شِعْر أَبِي تَمَام

بَاقُونَ فِي شِفَاهِ مَنْ نُحِبُهُم

بَاقُونَ فِي مَخَارِجَ الكَلَام[2]

وهنا إشارة إلى العزيـــمة والإصرار والثبات ، وعلى الرغم كل المصاعب والمتاعب ، إلا أنه مصر على الثبات والبقاء ، فنزار قباني كثير التفاؤل لغد افصل .

وقد كان نزار قباني عادلا في إعطاء كل ذي حق حقه ، محترما الأديان والمذاهب بأنواعها ففي سياق الحديث عن المذهـــب الشيعي أشار إلى الحسيـــن وفاطمة الزهـــراء باعتبارهما معادلين مقدسين للرفعة والسمو:

نَرْسُمُ فَوْقَ جِلْدِكُم

إِشَارَةْ الفِدَاء [3]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج 3، ص 180 .

[2]– نفسه ، ص 182 .

[3] – نفسه ، 197 .

مِنْ رَحِمِ الأيَّامِ نَأْتِي كَانْبِثَاق المَاء

مِنْ خَيْمَةِ الذُّلِ التِي يُعَلِّلُهَا الهَوَاء

مِنْ وَجَعِ الحُسَيْن نَأْتِي ...

مِنْ أَسَى فاطمَة الزهْرَاء[1]

ومن المعلوم أن الأزمة تلد الهمة : فالفداء والتضحية والأوجاع ، والصبر و تحمل الأسى ، أدوات بها يصل الإنسان إلى مبتغاه ، على الرغم من الذل والوجع والهوان .

وقد تتكرر ذكر الحسين في موضع مختلف ::

حَامِلاً كَسِيكَ فوقَ الظهْر ... حافِي القدمَيْن

وَعَلَى وجْهِكَ أَحْزَان السَّمَاوات

وأوجَاعُ الحُسَين ...[2]

وفي الأسطر الموالية فقد أشار إلى شخصية هارون الرشيد :

لِأَنَّ هارونَ الرشيدِ ماتَ منْ زَمَان

وَلمْ يعدْ في القصرِ غلمَان ، ولا خِصْيان

لأَنَّنا نَحْن قتلنَاه ، وأطَعَمْنَاه للحِيتَان

لِأَنَّ هارونَ الرشيدِ لمْ يَعُد إنسَان [3]

---

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج 3، ص 197 .

[2]– نفسه ، ص 210 .

[3] – نفسه ، ص 218 .

لقد تحول هارون الرشيد من معادل تاريخي للعدل والقوة والجهاد ، إلى رمز للنكوص والردّة والتقهقر ، ذلك أننا نعيش في زمن انعدمت فيه القيم الأخلاقية ، حيث أصبح القوي يأكل الضعيف دون هوادة أو رحمة ، فالشاعر في موقف سخط على أمته غير المبالية .

كما وظف نزار قباني شخصية " معروف الإسكافي " أيضا حيث قال :

مَازلنَا نقْضُمُ كالفِئْرَان

مَوَاعِظَ سَادَتِنَا الفُقَرَاء

نقرَأ (معْرُوفَ الإسْكَافي)[1]

إنها الرغــبة في ســرعة تحقق الأحــلام والأماني دون جد أو كد ، حيث التفكير المسطح، والتصرف بسذاجة وتقليدية (فهي شخصية خيالية).

ولم ينس نزار شخصية جحا الفكاهية ، في قوله :

ونقْرَأُ أخْبَارَ النُّدَمَاء

ونُكَاتُ جُحَا ...

وَرُجُوعِ الشيْخ ...

وقصَّة داحِس والغَبْرَاء ...[2]

وظفت شخصية جحا ، للدلالة على عدم الجدية واللامبالاة ، فالموقف لا يستدعي قراءة قصة جحا ولا أخبار الندماء ، بل يستدعي الصرامة، واتخاذ موقف جاد وصارم لإخراج الأمة من محنتها التي غرقت فيها .

---

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 344 .

[2]– نفسه ، ص 354 .

كما أن لقيس وليلى نصيبا أيضا في كتابات نزار قباني ، حيث قال :

مازَالَ يكتُبُ شِعْرِه العُذْرِي ، قيْس

واليَهُودَ تَسَرَّبُوا لِفِرَاشِ لَيْلِ العَامِرِية[1]

يتحدث الشاعر في هذين السطرين عــن لهو العــرب وحـــكامهم ، وانشغالـهم بمصالحهم الخاصة ، حتى انتهكت اليهود القدس ، رامزا لها بليل العامرية ، فالشاعر في حالة غضب وسخـط من حــال شعبه ، وسكـوته عن الحــق ، تاركا المجال للأعداء ، حـــيث انتهكوا حرماتهم وسلبوا خيرات البلاد دون تحريك ساكن.

ويستمر توظيف العناصر التراثية حيث :

وَقِصَّةُ الزِيرُ عَلَى حَصَانِه

وَعَاطِلِينَ يَشْرَبونَ القهوةَ التركِيَة

اسْحَبُ سيْفي غاضِبًا

وأقْتُلْ المُعَلقَات العشْرةَ والألفِية

وأقتُلْ الكهوفَ والدُفُوفَ

والأضْرِحَة الغبيَة[2]

كما وظف شخصية نبي الله أيوب ، من أجل اخذ العبرة والإقتداء به ، ومثل الصبر بصبره حيث قال :

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 360 .

[2]– نفسه ، ص 250 .

وَصَفُوا لِي صَبْرَ أيُوبَ دَوَاء ... فشَرِبَت

أَطْعَمُوني ...

وَرَقَ النَشَّاف ليلاً ونهاراً...

فَأَكَلْت ...[1]

عبر الشاعر عن حالة اليأس التي وصل إليها الفرد العـــربي ، الذي أصبح في حالة متقدمة من اليأس ، لدرجـــة أنه يتقبل كل شيء من أجـل الشفاء ، حتـــى ولو كـــان معنـويا مثل صبر أيوب ، وفي نفس السياق استدعى شخصية أبي تمام :

أَبَا تَمَّام ..أَيْنَ تكُونُ.. أينَ حَدِيثُكَ العَـــطِر؟

وَأَيْنَ يَدٌ مُغَامَرَةٌ تُسَافِرُ في مَجَاهيلٍ وتبْتَكِر ؟ [2]

وقد نجح نزار قباني في التحـليق بأبي تمام في الشخصـــية التـــراثية ، بين الاستخـدام الفني والبعد التاريخي ، هو استدعاء من التاريخ ، فقد استدعى نزار أبى تـمام ليحـاوره ، لأن أبى تمام عاصر حادثة كالحوادث التي تجري في واقعنا ولكنها انتهت هناك لخير العرب وكان واقعنا هنا غير ما حدث هناك ، ففي عصر أبى تمام انتصر المعتصم على جيوش الروم ، بينما نحن في حياتنا لم نحقق إلا انتصارا وحيدا إلا في سنة 1973 وكان بعد قصيـدة نزار قباني.

وتبرز شخصية حاتم الطائي المعروفة بالكرم فاستعملها عكس ذلك :

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 277 .

[2] – نفسه ، ص 349 .

لا تسافرْ بجوارِ عربي .. بين أحيَاء العرب

فهمْ من أجْل قرَش يقتلوُنك ...

وهمْ – حينَ يجوعُون مساءًا – يأكلُونك

لا تكُن ضيفًا على حاتِم طيّ

فهَو كذَاب .. ونصَاب [1]

فالشاعر يعكس صـورة العربي الذي لطالما عُـرف بالكـرم ، ووصفه وصـفًا مغايـرا لما عهدناه فيما مضى ، فحاتم الطائي شخصية عرفت بالكـرم ، وأصبـحت مضـربا للأمثال وهذا دليل على تغير الوضع العربي تغييرا جذريا ، أوصلت العالم إلى هذه الحـال . كما أنه استدعى شخصية " مهيار " الشخصية التاريخية الملحمية العظيمة :

لاَ بُدَ أَنْ تَمُوتَ فَوْقَ أَضْلُعِ القِيثار

لاَبُدَ أَنْ تَموتَ يا مَهِـيَار

فَلَيْسَ في التَاريخ مِنْ قَصِيدةٍ عَظيمة

لَمْ تُحترقْ بالنَّار ... [2]

فهي شخصية تاريخية قديمة ، عـانت الظلم والاستبـداد ، وقاومـت مـن أجـل الضعفاء ، واسترجاع حقـوقهم المستلبة ، فالشاعـر العباسي المنتـحر مهيار الدلمي ، استوحى منها أدونيس شخصية مهيار الدمشقي ، في ديوانه "أغاني مهيار الدمشقي ".

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج 6 ، ص 142 .

[2]– نفسه ، ص 249 .

زخر شعر نزار باستدعاء الشخصيات التاريخية والتراثية والإسلامية منها ، ولقد وظفها لكي يذكرنا بأمجاد السابقين ، ويزرع فينا روح البطــولات والأمجاد ، وتذكيرا بالدور الذي ينبغي للفرد خاصة العربي التحلي به في سبيل المحافظة على الوطن والتضحية من أجله .

رابعا _ الحـــذف :

يعتبر الحذف إحدى الظواهـر الأسلوبية التي وظفها الشاعـر المعاصر في أغلــب قصائده ، والتي تترك المجال للقارئ لإعطاء قراءات متعددة ، ولملئ الفراغات كلا حسب حالته الشعورية ، ولقد استدعى الشاعر هاته الظاهرة في الكثير من قصائده فنجد :

هُنَاكَ بِلَادٌ تَخَافُ عَنْ نَفْسِها

مِنْ هَدِيل الحَمَام

وَقَهْقَهَةِ الرِّيح بَيْنَ الشَّجَر.

وَتَسْتَنْفِر الجَيْشَ

بَراً ... وبَحْرًا ... وجَوًا ...

لكَيْ يَسْتَعِد لقَتْل القَمَر

هُنَاكَ بِلَاد

تُشْرَعُ أبْوابَها للبِّغَايا

وترْفُضُ أنْ تمْنَحَ الشِّعْر

تَأْشِيرَة للسَفَر... [1]

[1]– نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة، ج 3 ، ص 320 .

يترك الشاعر في هاته الأسطر الحرية للقارئ بأن يشاركه ، فيمنحه حــق التأويل والتعبير ، لاستكمال أفكارا تعمد الشاعر تركها للقارئ ، فمثالا جاء في قوله أعلاه نلمس بعض مــن مواضع الحذف :(برا .. بحرا .. وجوا..) أي : أن الدفاع عن الوطن يكون غير متناهيا ولا حدود له أما في السطر الأخير نجد قوله: (تأشيرة للسفر ...) أي أن الوجهة التي سيرحل لها الشاعر غير معروفة ومجهولة المعالم .

أما في قصيدة " دعوة اصطياف " وظف الشاعر الحذف :

سَنَةٌ خَامِسَةٌ تَأْتِي إِلَيْنَا ...

حَامِلًا كيسَكَ فوقَ الظَّهْر ... حَافِي القَدَمَيْن ...

عَلَى وَجْهِكَ أَحْزَانُ السَمَاوات ...

وَأَوْجَاعُ الحُسَيْن ...

يَسْتغنيكَ أَغَانِينَا ... ونَلْقِي

مِثْلَمَا اعْتَدْنَا عَلَيْك[1]

استعمل الشاعر خاصية الحــذف التي لها دلالة على تواصل الفكــرة اللامتناهية والخيال الواسع ، وهــذه الخاصية تضفي نـوعًا من الحــيرة والفضول لدى القارئ ، فــهي تشارك المتلقي في استرسال الفكرة واستنتاجها .

ولا عجب أن الشاعر قد ركز على هذه الظاهرة في أغلب القصائد السياسية وغير السياسية نجده موضحا في قوله :

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ص 282 .

لَا تَقْلقِي عَلَيَّ .. يا صَدِيقَتِي

وَكُلُ مَا اقْتَرفْتُه

أَنِّي مَنَعتُ البُدْوَ أَنْ يعتَبِروا النِّساءَ كَاللَوليمة ...

وَكُلُ مَا ارْتَكَبْتُه

أَنِّي رَفَضْتَ القمْع ...

و(الايدِز) السِّيَاسي ...

والفِكْر المَبَاحِثِي ...

والأنْظِمة الدَّمِيمَة

وَكُلُ آثَامِي – ومَا أَرِوعَها –

أَنِّي انتَخَبْتُ صَوْتَ فيروز

وَلَمْ انتَخِبْ الحُكُومة ...[1]

ومن خلال منح الشاعر للقراء فرصة التأويل والقراءة ، وبذلك يكون للقصيدة كاتبين ، الأول يشهد ميلادها ، أما الثاني (القارئ) فيمنحها الاستمرارية والحياة من جديد .

ولقد دعم الشاعر قصيدته " جريمة شـرف أمام المحـاكم العربية " بمواضع كثير من الحذف :

[1] – نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ج6 ، ص 326 .

مَلْعُونَة أَمْ السِّيَاسَة ... نحْنُ نُحِبُ أزنافور

إنَّ النِّسَاءَ بنِصْفِ عَقْلٍ ... والشَّرِيف عِنْدَنا

ضِدَ الضَّحِيَة

- .....

- .....[1]

إن الحذف الذي استعمله الشاعـر في هذه القصيدة ، أراد من خلاله الابـــتعاد عــن التصريح المباشر لبعض آرائه ، خاصة السياسية منها لحساسيتها ، فلجأ إلى التستر وراء هذه المواضع المختلفة من الحذف .

وإذن، فقد أضفى الحذف على قصائد نزار قباني السياسية منها نوعا من الجمالية فهدفه مشاركة القارئ له ، لإدراك ما بين السطور ، ولمشاركته آراءه السياسية منها.

[1]- نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ،ج 3، ص 233 .

خاتـــمة

في نهاية هذه الدراسة وصلنا إلى بعض النتائج نوجزها في النقاط التالية :

1- أعمال نزار قباني السياسية تعد البصمة الأهم في تاريخ الأدب العربي .

2- الإغتراب والسخرية اللذين لمسناهما في شعريته وتميزهما بالحذف والتكرار مما زاد جمالية شعره وجعله ثريا مشوقا .

3 – شعر نزار قباني يحاكي الضمير العربي وصوته ، فخطابه يحمل النبرة الجماعية ومترجم لكثير من الآهات العربية ، فقد حمل على عاتقه مسؤولية الأمة العربية ، فحاول الدفاع عنها بقوة قلمه .

4 – حالة الاغتراب التي عبر بها نزار قباني عن كل ما يشعر به المواطن العربي والغيور عن وطنه والغريب فيه ، أما السخرية فقد طغت عن أعماله واستعملها كوسيلة للترويح عن نفسه بها ، والتكرار يريد به الإصرار عن الفكرة وتأكيدها والدفاع عنها وبه يعطي القوة لأفكاره وتثبيتا لآرائه .

5- نزار قباني يعبر عن أفكاره برموز الأنثى حتى إن كان المقصود سياسيا ، ولهذا قيل عنه أنه شاعر المرأة ، فحتى شعر الغزل لا يقصد به المرأة في حد ذاتها ، بل له مقاصد ودلالات أخرى .

6- تكرر اسم الحاكم في شعر نزار قباني السياسي بصورة ملحوظة ، دليل على غضبه الشديد ونقمه على الحكام العرب .

7- نلمس في شخصية نزار قباني الجرأة والقوة والشجاعة ، فعنفوان الشاعر وحماسته الشديدة جعلا منه شاعرا محنكا ذاع صيته واتسعت شهرته وأصبح أشهر من نار على علم، وبقي ذكره إلى يومنا هذا وشعره محل الدراسات قديما وحديثا .

وختاما نرجـو أن نكـون قد وفقنا في ترجمة بعض أفكار نزار قباني، وطرحنا لهذا البحث ، فإن كان التوفيق فمــن الله وحده وإن كان غير ذلك فالله المستعان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أ- المصادر :

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

1- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط1 ، القاهرة ، 1968 .

2- ابن منظور جمال الدين الأنصاري ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 1992 .

3- أبو منصور الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق عبد العظيم محمود ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

4- الجوهري، الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، ط3 ، دار العالم للملايين ، بيروت 1984 .

5- نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت .

ب - المراجع :

6_ الزوزني، أبو عبد الله الحسين ، لجنة التحقيق في الدار العالمية ، بيروت 1992 .

7_أدونيس، الشعرية العربية ، ط2، دار الأدب ، بيروت ، 1989.

8_ تودوروف، قضايا الشعرية ، تر شكري المبغوت ورجاء سلامة ، ط1، دار توبقال ، المغرب.

9_ حبيبة محمدي ، القصيدة السياسية في شعر نزار قباني ، طبع في المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر، 2007 .

10_ حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول والمناهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1994 .

11_ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر.

12_ رومان جاكوبسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الوالي ومبارك حانوز ، دار توبيقان المغرب ، ط1 ، 1988 .

13_ سحر هادي شبر ، الصورة في شعر نزار قباني دراسة جمالية ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، (ط .ت) .

14_ سناء حامد زهران ، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، ط1 2004 ، عالم الكتب ، 38 شارع عبد الخالق ثروت ، القاهرة .

15_ السيد عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام ، الجماهيرية الليبية ، ط1 ، 1988 .

16_ شكري خالي ، شعرنا الحديث إلى أين، دار الآفاق الجديد ، بيروت ، ط2 ، 1978.

17_ شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، ط3 ، دار المعارف، القاهرة.

18_ فاطمة حسين العفيف، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(43)، العدد(03)، 2016.

19_ فاطمة حميد ، الاغتراب في الشعر الأموي ، ط1 ، مكتبة مديولي ، 1997 .

20_ فوزي عيسى ، النص الشعري وآليات القراءة ، (د . ط) ، جلال حرة وشركائه .

21_ محمد زكي العشماوي ، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

22_ محمد نجيب التلاوي ، رؤى نقدية معاصرة ، دار الهدى للنشر والتوزيع .

23_ نبيل راغب، الأدب الساخر مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة ، 2000.

24- خرسيتو نجم ،النرجسية في أدب نزار قباني ، دار الرائد العربي ،ط1،1983.

الفهـرس

الرقم	محتويات	ص
01	**مقدمة.....**	أ
02	**مدخل نظري : تحديد المفاهيم في شبكة العلاقات الدلالية**	
	أولا: تعريف الشعرية	09
	1_ لغة	09
	2_ اصطلاحا.....	09
	3_ الشعرية عند الغرب.....	10
	4_ الشعرية عند العرب.....	11
	ثانيا: السخرية	12
	1_ لغة	12
	2_ اصطلاحا	13
	3_ موضوعات السخرية	14
03	**الفصل الأول : أشكال السخرية عند نزار قباني**	
	أولا : السخرية من الواقع الاجتماعي العربي	17
	ثانيا : السخرية من الواقع الثقافي العربي	23
	ثالثا : السخرية من الواقع السياسي العربي	29
04	**الفصل الثاني : طرائق تفعيل السخرية**	
	أولا : الاغتراب	39
	ثانيا : التكرار	50
	ثالثا: استدعاء الشخصيات التراثية	56
	رابعا: الحذف	63
05	**خاتمة.....**	68
06	**قائمة المصادر و المراجع.....**	71
07	**الفهرس .....**	75